2 سلسلة الدراسات الأخلاقية

العِفّةُ الاجْتِماعِيّةُ

مُقارَبةٌ أخلاقِيةٌ-اجتِماعيّةٌ

■ زينة الجمّال

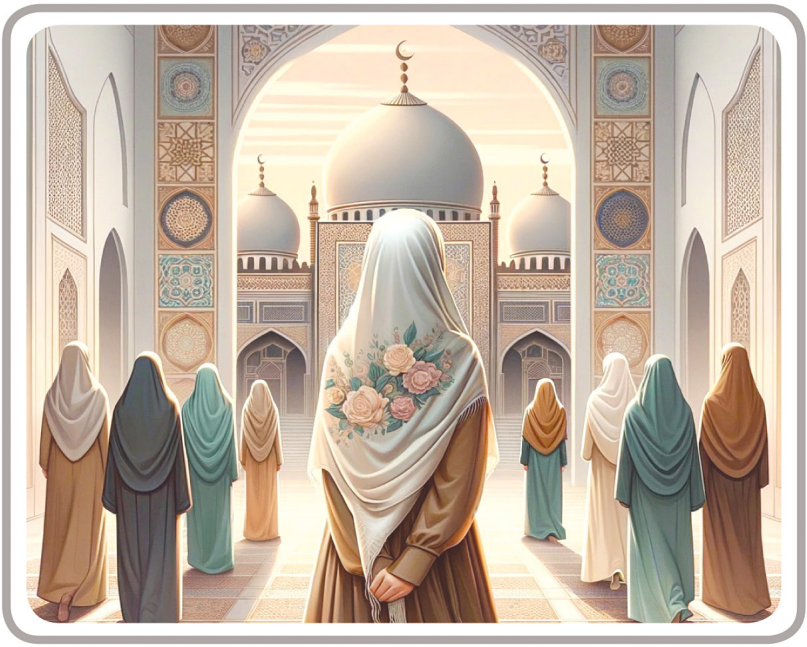

مَركزُ بَراثا للدِراساتِ والبُحوثِ
Baratha Center for Studies and Research

سلسلة الدراسات الأخلاقية 2

العفَّة الاجتماعيَّة
مقاربَة أخلاقيَّة اجتماعيَّة

زينة الجمّال

مركز براثا للدراسات والبحوث
بيروت - بغداد

◆ رقم الطبعة: الأولى
◆ تاريخ الطبعة: 2024 م- 1445هـ
◆ عدد الصفحات: 132 صفحة
◆ مكان الطبعة: بيروت - بغداد

© جميع الحقوق محفوظة للمركز

الفهرس

9 | مقدمة

الفصل الأول | 13
تأصيل مفهوم العفَّة في الرؤية الإسلاميّة

14 | المبحث الأوّل
بناء المجتمع العفيف في القرآن ومدرسة أهل البيت، عليهم السلام

19 | المبحث الثاني
تحليل مفهوم العفَّة في ضوء علم الأخلاق الإسلاميّ

29 | المبحث الثالث
تشابك قيمة العفَّة مع الحياء والغَيْرة

الفصل الثاني | 34
الحرب الثقافيّة على الحجاب

35 | المبحث الأوّل
في مفهوم الحجاب

37 | المبحث الثاني
الحرب الغربيّة على الحجاب

المبحث الثالث
42 | الحرب على الحجاب في العالمَيْن العربيّ والإسلاميّ

المبحث الرابع
51 | محاولة التشكيك بفريضة الحجاب وإنكار وجوبه

الفصل الثالث | 58
مظاهر ثقافة العفاف في المجتمع الإسلاميّ

المبحث الأول
59 | الضوابط الشرعيّة للحجاب في الإسلام

المبحث الثاني
63 | السّفور المُقنَّع والحجاب المودرن

المبحث الثالث
67 | العفاف في أسلوب الحياة (النظر، اللَّمس، الحديث، المشي...)

الفصل الرابع | 77
العفاف وبعض التحدِّيات المعاصرة

المبحث الأول
78 | العفاف والطَّبابة والتَّمريض

المبحث الثاني
85 | العفاف ونشاط المرأة الاقتصاديّ

88 | المبحث الثالث
العفاف والنشاط الثقافيّ والإعلاميّ والفنيّ

الفصل الخامس | 91
العفاف وبناء الأسرة

92 | المبحث الأول
دور الزواج في العفاف الأسْريّ والاجتماعيّ

100 | المبحث الثاني
دور غَيرة الزوج في تنشيط ثقافة العفاف

103 | المبحث الثالث
دور الأسرة في التربية على العفَّة والعفاف

الفصل السادس | 115
آليَّات نشر ثقافة العفاف في المجتمع الإسلاميّ وسياساتها

116 | المبحث الأول
أساليب التربية الأُسْريّة على العفَّة

124 | المبحث الثاني
نماذج مقترحة لِـ: سياسات نشر ثقافة الحجاب والعفاف في المجتمع

129 | لائحة المصادر والمراجع

● مقدمة:

يتّصف اللّه ,تعالى، بصفات الكمال والجمال والجلال، ومنها: الحكمة، أي أنّه, ,تعالى،, لا يفعل إلاّ لغاية وهدف، وقد خلق الإنسان في أحسن تقويم، لمعرفته ,تعالى، وعبادته، فيكون خليفة للّه ,تعالى، في الأرض، فيعمرها بالإيمان والعمل الصالح والتقوى، وبناء المجتمع الصالح والعفيف والطاهر.

وقد زوّد سبحانه وتعالى, الإنسان بالأجهزة والوسائل الخاصّة والأدوات التكوينيّة التي تمكّنه من بلوغ ذلك الهدف وتحقيق تلك الغاية السامية والأشواق العليا، وهي: العقل مركز التفكير والتأمل والتدبر و...، والقلب موضع العواطف والمشاعر، كالحبّ والشوق والخوف والرجاء و...، والفطرة السليمة أي الكيفيَّة الخاصّة التي خلق الله ,تعالى، الإنسان عليها التي تنطلق منها الميول والرغبات النفسيّة كالانجذاب إلى الله ,تعالى، وعشق الكمال والنفور من النقص، والجوارح والأعضاء البدنية, كالعين

,والأذن, واليدين, والقدمين و...
كما أرسل له الأنبياء والرسل وأتبعهم بالأئمة والأولياء، ليعرّفوهم طريق الحقّ والهداية ويأخذوا بيدهم إلى الهدف المطلوب.
فكان للّه ,تعالى، على الناس حجّتان: ظاهرة, وهي الأنبياء والأئمة، وحجة باطنة، وهي العقول والقلوب والفطرة السليمة، ولو أحسن الإنسان استثمار هذه الحجج بطاعة العقل والشريعة، فإنه يعيش حياة سعيدة وطيّبة، والتي كانت مطلب الأنبياء والأئمة ,صلوات اللّه عليهم أجمعين، كما في أدعية الإمام زين العابدين, عليه السلام، حيث ورد في الصحيفة السجاديّة في دعاء عرفة:
« فأحيني حياة طيّبة، تنتظم بما أريد، وتبلغ ما أحبُّ، من حيث لا آتي ما تكره، ولا أرتكب ما نُهيت عنه».
وفي دعاء سحر شهر رمضان المبارك: « ... وأتممت عليه نعمتك، ورضيت عنه، وأحييته حياة طيبة في أدوم السرور وأسبغ الكرامة، وأتمّ العيش».
وقد كشف القرآن الكريم أنّه من جملة القيم العليا في الرؤية الإسلاميّة التي إذا سادت بين الأفراد وفي المجتمع فإنّها تحقّق الحياة الطيّبة والسعيدة، هي: «العفَّة» و «التحصّن» و» التحفّظ»[1]، أي أن يكون الفرد عفيفًا، والمرأة عفيفةً، والمجتمع عفيفًا، أي أن يكون الأفراد والمجتمعات تعيش حالة ضبط الغريزة الجنسيّة في ضوء الأخلاق الإلهيَّة والضوابط الشرعيّة، وأن تكون العلاقات بين الأفراد خصوصًا الذكور والإناث في

1 - انظر: سورة النور، الآية: 60. سورة النور، الآية: 33. سورة الأحزاب، الآية: 35.

المجتمع البشريّ منطلقة من صفات العفَّة والحياء والغَيْرة، هذه الصفات التي ترتبط فيما بينها بنحوٍ وثيقٍ وتساهم في بناء مجتمع عفيف وطيّب وطاهر وصالح، يساهم في صناعة مشروع الخلافة الإلهيَّة على الأرض والتمهيد لدولة صاحب العصر والزّمان عجل الله ,تعالى، فرجه الشريف.
فلا يكون همّ أفراد المجتمع فقط في إشباع شهواتهم وغرائزهم ولذائذهم الماديّة ومتعتهم الحسيّة الجسديّة، ولأنّ اللّه ,تعالى، غيور قد حرّم الفواحش، كالزّنا, واللواط ,والسِّحاق, والسفور,, والنّظر, واللّمس المحرّمَيْن والاختلاط غير المنضبط والتبرّج والتزيّن أمام الأجانب...
ولكن تحت شعارات الحرِّيَّة والتقدّم والانفتاح والعصرنة، تأثّر كثير من أبناء مجتمعاتنا بالأفكار التي تتجاوز العفَّة، فتهين المرأة وكرامتها التي منحها الله ,تعالى، إياها فأصبح السفور والتبرّج شائعًا، والملابس الضيّقة منتشرة، والاختلاط غير المنضبط أمرًا رائجًا، والمثْليَّة الجنسيّة حريّة شخصيّة، وقلّة غيرة الرجال على نسائهم انفتاحًا، وقلة الحياء عند النساء جرأة وشجاعة، والسَّترْ والحجاب تخلّفًا ورجعيّة، والالتزام بضوابط الشريعة في غضّ البصر وعدم اللمس والمصافحة للأجنبيّ عقدة نفسيّة...
في هذا الكتيّب، سلّطنا الضّوء على مفهوم العفَّة والعفاف، وبيّنا أهميّتهما في ضوء منطق القرآن ومدرسة أهل البيت وعلماء الأخلاق المسلمين، وعرّجنا على بيان دوافع الحرب الغربيّة وبعض الحكومات والأنظمة والشركات والمؤسسات في عالمنا الإسلاميّ على الحجاب والعفَّة والحياء، وذكرنا بعض النماذج على ذلك، وتوقّفنا عند كيفيَّة تأثّر أبناء وبنات مجتمعاتنا بهذه الحرب الثقافيّة والحضاريّة، وعرضنا الأدوات

والوسائل التي تُستخدَم في مناهضة العفَّة والحرب على الحجاب، وشرحنا كيفيَّة مواجهة هذه الأدوات والوسائل، والطرق التي تمكّننا من خوض معركة نشر فضائل العفَّة والحياء والغَيْرة في مجتمعنا. نهدف من وراء ذلك إلى تثقيف جيل الشباب بضرورة العفَّة، وفضح مخطّطات العدو في محاربة العفاف، وتنمية الوعي بأساليب المواجهة، ليساهم كلٌّ منّا في بناء المجتمع العفيف والطاهر والطيّب، لكسب رضا الله ,تعالى،، والفوز بسعادة الدارين، والتمهيد لظهور صاحب العصر والزمان عجل الله ,تعالى، فرجه الشريف.

الفصل الأوّل:

تأصيل مفهوم العفَّة في الرؤية الإسلاميّة

المبحث الأوّل:
بناء المجتمع العفيف في القرآن ومدرسة أهل البيت، عليهم السلام

تمهيد

لا شكّ في أنّ البحث عن مفهوم العفَّة في الرؤية الإسلاميّة يُشكِّل القاعدة التي ننطلق منها لنحقّق العفَّة الفرديّة والاجتماعيَّة، كما أنّه يجعلنا نملك المعيار الذي نقيس في ضوئه مدى وجود مؤشّرات العفَّة في هذا المجتمع أو ذاك؛ لذا يكون تحديد مفهوم العفَّة وتأصيله أمرًا مهمًّا في مقدّمة البحث، ليعطينا الصورة التي يريد الإسلام أن يكون عليها المجتمع العفيف والطاهر.

أوّلًا: ضرورة العفَّة في الكتاب والسنّة

ركّز القرآن الكريم كثيراً على صفة العفَّة، فقال ,تعالى،: ﴿**يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاء مِنَ التَّعَفُّفِ**﴾[1]، وقال ,تعالى،: ﴿**وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ**﴾[2]. كما قال ,تعالى،:

1 - سورة البقرة، الآية: 272.
2 - سورة النساء، الآية: 6.

﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾[1]، وقال عزّ وجلّ:﴿وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[2]، ﴿إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّناً﴾[3]، ﴿وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ﴾[4]... فهذه الآيات القرآنيَّة الكريمة تؤكِّد أهمية العفَّة بشكلٍ عام، أي بما يرتبط بالبعد المتعلّق بالحياة الجسديّة الظاهرة، والعلاقات الجنسيّة بين الأفراد، وغيرها من الأبعاد كالعفَّة الماليَّة، وعفّة البطن و...، وإن كانت تتأكّد في العلاقة بين الجنسين على نحو أشدّ.

وقد أكّدت عشرات الأحاديث والروايات الواردة عن رسول الله وأهل بيته, صلوات الله عليهم أجمعين, ضرورة العفَّة والعفاف، فما عبد الله ,تعالى، بشيء أحبّ إليه من العفَّة، وثمرة العفَّة في المجتمع هي الصيانة، وضعف الشهوة، وحسن الأوصاف، والنزاهة، وزكاة الأعمال[5]...

عن رسول الله, صلى الله عليه وآله وسلم: «عليكم بالعفاف وترك الفجور»[6].

فالرؤية الإسلاميّة تقوم على معادلة واضحة ومحدّدة، يجب أن يكون الفرد عفيفًا، وأن يكون المجتمع عفيفًا[7].

1 - سورة النور، الآية: 33.
2 - سورة النور، الآية: 60.
3 - سورة النور، الآية: 33.
4 - سورة الأحزاب، الآية: 35.
5 - انظر حول هذه الأحاديث الواردة: الريشهري، ميزان الحكمة، ج3، صص 2005-2010.
6 - الكليني، الكافي، ج2، ص233.
7 - الصدوق، من لا يحضره الفقيه، ج3، ص394، ح4386.

ثانيًا: الحث على بناء الأسرة العفيفة والمجتمع العفيف

وفي هذا السياق نفسه، نلاحظ أنّ الروايات وفي سبيل بناء الأسرة العفيفة والمجتمع العفيف، قد أكّدت على ضرورة أن يكون أحد معايير حسن اختيار الزوج وكذلك اختيار الزوجة هو الاتّصاف بالعفَّة.

فقد ورد عن الإمام الصادق,عليه السلام, أنّ الرجل الذي يُعتبر كفؤًا للمرأة المؤمنة في مقام الزواج يجب أن يكون عفيفًا.

وكذلك الحال في المرأة، يشترط أن تتّصف بالعفَّة، فقد ورد عن الصادق, عليه السلام, أنّه إذا أراد المؤمن أن يتزوج، عليه بالدعاء: « اللّهم إنيّ أريد التزويج، فقدِّر لي من النساء أعفهنّ فرجًا، وأحفظهن لي في نفسها...»[1]

بل نظرت بعض الروايات إلى ضرورة أن تنتسب المرأة التي يريد المؤمن الزواج منها إلى مجتمع عفيف وبيئة عفيفة.

عن رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله)، قال: «تزوجوا إلى آل فلان فإنّهم عفّوا، فعفَّت نساؤهم، ولا تزوجوا إلى آل فلان، فإنّهم بغَوا، فبغت نساؤهم»[2].

وهكذا تؤكّد عشرات الروايات ضرورة أن يكون المجتمع الإيمانيّ مجتمعًا عفيفًا، يتمتّع بغضّ البصر، والكفّ عن نساء الناس، والزواج من العفيفين والعفيفات، والتربية على العفاف، وترك الفجور، وعدم تزيّن وتبرّج المرأة لغير زوجها، وضرورة السَّتْر والحجاب، وتهذيب المرأة

1 - المصدر نفسه، 4387.

2 - الكليني، الكافي، ج5، ص554، ح4.

لأسلوب كلامها مع الرجال الأجانب، وضبط طريقة مشيها، واجتناب اللّمس والمصافحة بين الجنسين، والزنا، واللّواط، والسِّحاق وكلّ علاقة جنسيّة غير الزواج المشروع... إلخ من مظاهر العفَّة والعفاف عند الأفراد وفي المجتمعات.

ثالثًا: العفَّة والتحديات المعاصرة تحت شعار الحرِّيَّة والتقدّم

ولكن مع شديد الأسف، وتحت شعارات الحرِّيَّة والتقدّم والتطوّر الثقافيّ، سقط الغرب في مستنقع الحياة الشهوانيّة، فأخذ يمارس كلّ ما من شأنه أن يعارض العفَّة ويناقض الغَيْرة والحياء، بل أخذ -ومنذ احتلاله لأوطاننا العربيّة والإسلاميّة- يصدِّر إلى مجتمعاتنا هذه الممارسات كالسفور والتعريّ كما في تجربة الجزائر وتونس ومصر وتركيا وإيران وغيرها...، ويشجّع على الاختلاط المحرّم في الأسواق والجامعات والمدارس و...، ويحفّز الفنّون -كالرسم والنحت- التي تنافي العفَّة والحياء، ويحارب الحجاب والسَّتْر كما في التجربة الفرنسيّة وغيرها...، ووظّف كلّ طاقاته الإعلاميّة والدعائيّة لتشويه صورة الحجاب والتحفيز على التحرّر من ضوابط العفَّة والحياء والغَيْرة والتحصّن والتحفّظ.

كما اتّخذ من المرأة وسيلة لفن الإغراء، مستخدمًا جسدها في الدعاية التجارية والترويج لبضاعته، بالتلاعب على الغرائز والشهوات.

وتأثّر كثير من أبناء مجتمعاتنا بهذه الأفكار التي تنافي العفَّة، وتخدش الحياء الاجتماعيّ، وتدسّ الغَيْرة في التراب، وتهين المرأة وكرامتها، فأصبح السفور أمرًا عاديًّا، والتبرّج والتزيّن شائعًا، والملابس الضيّقة

أو ذات الألـوان الفاقعـة منتشرة، والاختلاط غـير المنضبط خصوصًا في المسـابح وعلى الشـواطئ أمرًا رائجًا، والمثْليَّة الجنسـيّة حريّة شخصيّة، وقلّة غيرة الرجال على نسـائهم انفتاحًا وعصرنة، وقلة الحياء عند النسـاء جرأة وشجاعة، والسَّـتْر والحجاب تخلّفًا ورجعيّة، لأنّ الجمال ينبغي ألَّا يُحجَب ويراه كلّ الناس، والالتزام بضوابط الشريعة في غضّ البصر وعدم اللمس والمصافحة للأجنبيّ عقدة نفسيّة...

وقد حذّر رسـول الله صلى الله عليه وآله وسـلّم مـن هذا الانقلاب في المفاهيم والقيم، حيث قال: «كيف بكم إذا فسد نساؤكم، وفسق شبانكم، ولم تأمروا بالمعروف ولم تنهَوا عن المنكر؟!

فقيل له: ويكون ذلك، يا رسول الله؟

قـال: نعـم، وشرٌّ من ذلك!! كيف بكـم إذا أُمرتم بالمنكـر، ونُهيتم عن المعروف؟!

قيل: يا رسول الله، ويكون ذلك؟

قـال: نعم، وشرٌّ من ذلك، كيف بكـم إذا رأيتم المعروف منكرًا والمنكر معروفًا؟!»[1].

فبدل أن يتمسّـك أبناء مجتمعنا بتعاليم القرآن الكريم، تمسّك بعضهم؛ بل كثـير منهم, بالفجـور وترك العفاف، فكان عنصرًا مسـاهمًا في فسـاد المجتمـع وانحرافه عن الأهداف الإلهيَّة، وعامـلاً مانعًا من إقامة مشروع الخلافة الإلهيَّة على الأرض، والترويج للمنكر، بل رؤية المنكر معروفًا.

1 - المجلسي، بحار الأنوار، ج٥٢، ص١٨١.

المبحث الثاني:
تحليل مفهوم العفَّة في ضوء علم الأخلاق الإسلاميّ

تمهيد:

إنَّ البحث عن العفَّة يرتبط ارتباطًا وثيقًا بفهم طبيعة تكوين النفس الإنسانيّة، حيث إنّ علماء الأخلاق المسلمين اعتمدوا على الفهم الفلسفيّ للطبيعة البشريّة لتحديد موقفهم من العفَّة وتفسيرها، ولذا نتوقّف بدايةً مع بيان طبيعة قوى النفس في ضوء فلسفة الأخلاق الإسلاميّة، ثم ننتقل منها إلى تحديد مفهوم العفَّة أخلاقيًّا.

يقول الإمام الخميني: «قسّم الحكماء أجناس الفضائل إلى أربع فضائل هي: الحكمة, والشجاعة والعفَّة, والعدالة، إذ إنّ للنّفس قوّتين هما: قوّة الإدراك وقوّة التّحريك، ولكلّ منهما شعبتان، فقوّة الإدراك تنقسم إلى العقل النظريّ والعقل العمليّ، وقوّة التّحريك تنقسم إلى قوّة الدّفع (لغير الملائم) وهي قوّة الغضب، وإلى قوّة الجلب (للملائم) وهي قوّة الشهوة. والاعتدال في كل واحدة من هذه القوى الأربع وإخراجها من حدّي الإفراط والتّفريط فضيلة. فالحكمة عبارة عن تعديل القوّة النّظرية وتهذيبها، والعدالة تعديل القوّة العمليّة وتهذيبها، والشّجاعة تعديل القوّة الغضبيّة وتهذيبها، والعفَّة تعديل القوّة الشهويّة وتهذيبها»[1].وهذا

1 - الخميني، جنود العقل والجهل، ص147.

النصّ يحتاج إلى بعض التوضيح والشرح.

أوّلًا: التركيب النفسيّ للإنسان عند علماء الأخلاق

خلق اللّه ,تعالى، الإنسان مزيجًا من نشأتين وعالمين، نشأة المادة والطّين ﴿**إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ**﴾[1]، ونشأة الروح والنفخة الإلهيَّة ﴿**وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي**﴾[2].

النشأة الأولى يمُثّلها هذا البدن المحسوس الذي نمارس به أنشطتنا الطبيعيّة في الحياة اليوميّة، والنشأة الثانيّة تمثّلها الروح المجرّدة عن المادة والزمان والمكان، والمُتعلِّقة بالبدن والمادة في مقام العمل والنشاط، فروح الإنسان -مثلاً- تفكّر بوساطة الدماغ، وتعشق وتخاف وتحزن وتفرح بوساطة القلب، وترى بوساطة العين، وهكذا...

ويعتقد فلاسفة وعلماء الأخلاق المسلمون أنّ النفس البشريّة أو الروح المجرّدة هي التي تشكِّل جوهر الإنسان وحقيقته، أمّا البعد الماديّ من الوجود الإنسانيّ فليس إلّا وسيلة لتحقيق النفس البشريّة لأغراضها في الحياة وتحصيل ما ينبغي لها من كمالات. وتتكوّن النفس البشريّة من قوى متعدّدة، حصروها في قوّتين أساسيّتين يتفرّع عنهما أربع قوى:

- **الأولى: قوّة الإدراك والتعقّل والتفكير:**

وتشمل:

1 - سورة ص، الآية: 71.
2 - سورة ص، الآية: 72.

● **القوّة العاقلة:** ووظيفتها أن تُدرك الحقائق، كقضايا الفلسفة والإلهيّات، وما يتعلّق بالمعادلات الرياضيّة، والاكتشافات العلميّة في الطبيعة كالفيزياء والكيمياء وعلم الأحياء... وكذلك تُدرك هذه القوة ما يتعلّق بالأخلاق الفرديّة والسياسة المدنيّة والتربيّة الاجتماعيَّة...، أي القضايا التي تحدّد للإنسان أو المجتمع ما ينبغي أن يفعل أو لا يفعل، وتميّز بين الحسن والقبيح من الأفعال الاختياريّة للإنسان.

● **والقوّة الوهميّة:** وهي قوّة يستعين بها العقل على إدراك المعاني الجزئيّة.

2. والقوّة الثانيّة: قوّة البعث والتحريك:

أي القوّة التي تحرّك البدن وتعطيه الأوامر ليفعل أو يترك. وتشمل قوّتين:

● **القوّة الغضبيّة:** ووظيفتها بعث الإنسان إلى دفع الضرر عن نفسه وطرد الألم، على وجه الغلبة، كالدفاع عن النفس والانتقام والأخذ بالثأر ضد المعتدين.

● **والقوّة الشهويّة:** وظيفتها بعث الإنسان نحو جذب اللّذة وما يلائمه، كالطعام والشراب والنكاح.

● ثانيًا: تَصارُع قوى النفس وتصالُحها

جميع هذه القوى المتقدِّمة تعيش بين أمرين: إمّا أن تتصالح فيما بينها، وإمّا أن تتصارع وتتنازع وتتدافع.

وكي يعيش الإنسان حالة السلام الداخليّ والطمأنينة والسكون النفسيّ،

عليه بالتحكّم والسيطرة على قواه بما يخدم أهدافه الحقيقيّة والإلهيَّة، بأن تكون هذه القوى تحت قيادة القوّة العاقلة، لأنّها هي القوّة القادرة على المصالحة بين جميع قوى النفس.

عن أمير المؤمنين عليّ, عليه السّلام: « إنّ اللّه عزّ وجلّ ركّب في الملائكة عقلاً بلا شهوة، وركَّب في البهائم شهوةً بلا عقل. وركَّب في بني آدم كليهما، فمن غلب عقلُه شهوتَه، فهو خيرٌ من الملائكة، ومن غلبَتْ شهوتُه عقلَه فهو شرٌّ من البهائم»[1].

فإذا قامت القوّة الشهوية -فيما تريد أن تجذبه من اللّذة كالأطعمة أو الأشربة المُحرّمة كشرب الخمر، أو الزِّنا أو اللواط والسِّحاق (أو ما يسمّى المثْليَّة الجنسيّة) أو التزيّن والتبرّج والسفور والتعرّي... - بالتمرّد على العقل، والتحرّر من سلطة الأخلاق والشريعة الإلهيَّة، حينها يخرج الإنسان من حدود الحياة الإنسانيّة إلى حدود الحياة الشهوانيّة والحيوانيّة، لأنّ العقل يصير مغلوبًا لا قائدًا، فتهلك النفس البشريّة، قال ,تعالى،: ﴿**وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا**﴾[2].

وهكذا هي الحال في القوى الأخرى، فإذا سيطرت القوّة الوهميّة على العقل صار الإنسان شيطانًا، وإذا تغلّبت القوة الغضبيّة على العقل، أصبح الإنسان سبُعًا ضاريًا، كما في بعض رجال السياسة الذين يتعدّون على حقوق الناس -مثلاً-، بخلاف الحاكم المؤمن المتّقي الذي يعمل بوصية

1 - الصدوق، علل الشرائع، ج1، ص4-5.
2 - سورة الشمس، الآية: 10.

أمـير المؤمنين, عليه السّـلام, لمالك الأشـتر, رضوان اللّـه ,تعالى، عليه: «وأشـعر قلبك الرحمة للرعيّـة، والمحبة لهم، واللّطـف بهم، ولا تكوننّ عليهم سبعًا ضاريًا، تغتنم أكلهم»[1].

أمّا إذا انقادت القوى الوهميّة والشهويّة والغضبيّة للعاقلة ضمن التعاليم الإلهيَّـة والشريعة، تصبح جميع القوى ككيانٍ واحدٍ، إذ إنّ القائد والمدبّر قوّة واحدة، فتُستثمَر كلّ قوّة في موضعها المناسب، فيصدر عن تلك القوّة الأخلاق الحسنة والفضائل، قال تعالى: ﴿**قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا**﴾[2].

فالصورة الباطنيّة للإنسـان تتناسـب مع القوّة التي تغلـب عليه، فإمّا أن يكـون على صورة الملائكة أو الشـياطين أو البهائـم... كما ورد عن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام: «فالصورة صورة إنسان، والقلب قلب حيوان، لا يعـرف بـاب الهدى فيتّبعـه، ولا بـاب العمى فيصدّ عنـه، وذلك ميت الأحيـاء»[3]. ويحشر الإنسـان على تلك الصورة يـوم القيامة، فقد ورد في أحاديـث عدّة أنّ الناس يُحشرون على نيّاتهم يـوم القيامة[4]، ولذا نفهم ما ورد في الروايات من أنّ بعض الناس يحشرون على صورة تحسـن عندها القردة والخنازير[5].

---

1 - الشريف الرضي، نهج البلاغة، الكتاب: 53 .
2 - سورة الشمس، الآية: 9.
3 - الشريف الرضيّ، نهج البلاغة، الخطبة ٨٧. وابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج6، ص372.
4 - البرقي، المحاسن، ج١، ص٤٠٩، ح٩٢٩.
5 - الفيض الكاشاني، محمد بن شاه مرتضى، علم اليقين، تصحيح محسن بيدارفر، انتشارات بيدار، قم، ط1، 1412هـ، ج2، ص1099.

ثالثًا: العفَّة من أمّات الفضائل الأخلاقيَّة

بعد هذه المقدّمات نصل إلى النقطة التي نريد معالجتها وتسليط الضوء عليها، وهي: «العفَّة»، وتحليل طبيعة العفَّة في ضوء ما تقدّم.

إنّ تهذيب القوى النفسيّة وإخضاعها للعقل السليم يحصل منه غنى النفس بالفضائل والملكات الحسنة والكمالات المطلوبة. فالفضيلة هي: ملكة إراديّة راسخة في النفس، تجعل الإنسان قادرًا على التوسط بين حدَّيْ الإفراط والتفريط، اللذين تنبعث عنهما رذائل متقابلة.

وقد أجمع علماء الأخلاق المسلمون على أنّ أمّات الفضائل أربع[1]، وهي:

- الحكمة.
- الشجاعة.
- العفَّة.
- العدالة.

أ. ما الحكمة؟

أمّا الحكمة، فهي فضيلة تحصل بتهذيب القوّة العاقلة، وفائدتها: معرفة حقائق الموجودات على ما هي عليه وتمييز الحسن من القبيح.

والقوّة الوهميّة إذا تحرّرت من سلطة العقل تصبح وظيفتها استنباط وجوه المكر والحيلة من أجل التوصل إلى الأغراض والأهداف بالتلبيس

1 - انظر: الإمام الخميني، جنود العقل والجهل، ص273-275.

والخداع.

أمّا إذا كانت القـوّة الوهميّة تحت قيادة العقل، ففائدتها: إدراك المعاني الجزئيّـة، واسـتنباط الحيـل والدقائـق التـي يُتوصَّـل بهـا إلى المقاصد الصحيحة.

ب. ما الشجاعة؟

وأمّا الشـجاعة، فهي فضيلة تحصل بتهذيب القـوّة الغضبيّة تحت قيادة العقـل والشريعة، وهي إطاعـة القوة الغضبيّة للعاقلـة في الإقدام على ما ينبغـي بنظر العقـل والشرع. ومـن آثارها: «الغَـيْرة». فإذا انقـادت القوّة الغضبيّـة إلى العقل والـشرع، كانت وظيفتها تحفيز الإنسـان على الدّفاع عن الدِّين والجهاد في سـبيل اللّه والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر... أمّـا إذا تحرّرت مـن العقل والشرع، تحرّك الإنسـان نحو طلب المناصب الدنيويّة، وإيذاء الناس، والشتم، والتعدّي...

ت. ما العفَّة؟

وأمّـا العفَّة، فهي فضيلة تحصل بتهذيب القوّة الشـهويّة التي هي انقياد القوّة الشـهويّة للعاقلـة فيما تأمرها به وتنهاها عنه حتى تكتسـب الحرِّيَّة. وإذا انقادت إلى العقل والشرع فكانت هي القوّة التي تحفّز الإنسـان على الزواج والتناسل مثلاً.

يقـول المحقق النراقيّ: «أمّـا فضيلة العفَّة، عبارة عن ملكـة انقياد القوّة الشـهويّة للعقل، حتى يكون تصرفها مقصورًا على أمره ونهيه، فيقدم على

مـا فيه المصلحة وينزجر عما يتضمن المفسـدة بإجازتـه، ولا يخالفه في أوامره ونواهيه»[1].

وهذا التعريف الأخلاقيّ يتناسـب مع المعنـى اللغويّ للعفّة، لأنّ العفَّة في اللّغة هي الكفّ عمّا لا يحلّ[2]. والاستعفاف طلب العفاف وهو الكفّ عن الحرام[3]. فيظهر أنّ أصل العفَّة في اللّغة العربيّة ليس هو مطلق الكفّ، بل خصوص الكفّ عن القبيح.

أمّـا إذا خرجت على قانون العقل، فيكون همّها في الشـهوات الحيوانيّة كالطعـام, والـشراب, والزّنـا وارتـكاب الفواحـش، والنزوات الجنسـيّة، والتبرّج، والتزيّن لغير الزّوج, والسفور والنّظر واللّمس المحرّمَيْن...

ث. ما هي العدالة؟

أمّا الفضيلة الرابعة فهي العدالة، وهي عبارة عن رفع التجاذب والتخالف بين القوى المتنوّعة بقيادة القوّة العاقلة، فتقوم كلّ قوة بما هو مناسـب لها في خدمة الأهداف الإلهيَّة[4].

فـإذا قـصّرت القّوة عمّا ينبغـي لها فهـو التفريط، وإذا تجـاوزت القوّة الحدود المرسومة لها فهو الإفراط، ومن هنا يكون مقابل كلّ فضيلة -التي هـي الحدّ الوسـط وهي واحد لا يقبل التعدّد- رذيلتـان في طرفيْ الإفراط

1 - النراقي، جامع السعادات، ج1، ص 87.
2 - الفراهيدي، كتاب العين، ج1، ص92.
3 - ابن منظور، لسان العرب، ج9، ص290.
4 - النراقي، جامع السعادات، ص32-51-69.

والتفريط. فالحكمة واقعة بين البله والجربزة.

والشجاعة بين الجبن والتهوّر.

والعفَّة بين الخمود والشّره.

وهكـذا يتضـح مفهوم العفَّـة على نحوٍ جـليٍّ في ضوء علـم الأخلاق الإسلاميّ.

● رابعًـا: الضوابط والمحدّدات الشرعيّـة للحرية التي تنافي العفَّة

إنّ المجتمعات البشريّة التي تتصرّف على خلاف أخلاق العفاف والحياء والغَـيْرة، هـي مجتمعات قد خرجت عـلى الفطرة البشريّة السـليمة التي خمّرها اللّه ,تعالى، في الإنسان، كالمجتمعات الغربيّة التي تعيش السفور والمثْليَّة الجنسـيّة والتعرّي والبغاء و... وكذلك من شـديد أسف كبعض المظاهـر في مجتمعاتنـا العربيّة والإسـلاميّة التي تحرّرت مـن الضوابط الأخلاقيَّة كالعفَّة والحياء والغَيْرة...

ولذلـك نلاحظ أنّ الإسـلام قد وضع محـدّدات عديدة لحريـة الغريزة الجنسيّة والقوة الشهويّة، منها:

أوّلاً: التحديـد الذاتيّ النابع من أعماق النفس البشريّة، والذي هو العفَّة الأخلاقيَّة كفضيلة وملكة نفسانيّة، التي تنطلق من الفطرة السليمة والحياء، وتتولّد هذه الفضيلة في ظل التربيّة الإسـلاميّة التي تزرع في روح الإنسان قوّة توجّه سـلوكه الفرديّ والاجتماعيّ في الحيـاة على نحو يكون مهذّبًا، وصالحًا، وعفيفًا.

ثانيًا: التحديد القانونيّ، القائم على أساس المنع عن أيّ نشاط يتعارض مع العفَّة الفرديّة والاجتماعيَّة، كالسفور والتعريّ والزنا والمصافحة والنظر المحرّمين والتبرّج المحرّم... إلخ.

ثالثًا: القوانين الجزائية التي سنّتها الشريعة كعقاب على ممارسة ما يخلّ بالعفَّة من حدود وتعزيرات، كجلد الزاني، وتعزير السافرة...

رابعًا: الضرائب الماليّة المفروضة على ارتكاب ما يخالف العفَّة الجنسيّة، مثل الكفـارات والديّات، ككفارة الإفطار العمدي في شـهر رمضان على الجماع أو الاستمناء...

وقـد منحت الشريعةُ الإسـلاميّةُ الدولةَ والجهازَ القضـائيّ حقّ التدخّل لحماية المجتمع الإسلاميّ من أي لون من ألوان الفساد الذي ينافي العفَّة والحياء والغَيْرة.

خامسًـا: حثّت الشريعة الإسلاميّة أفراد المجتمع الإيمانيّ على التكاتف والتعاون في سبيل مواجهة أي فساد أخلاقي يتنافى مع آداب العفَّة والحياء بوسـاطة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتواصي بالحقِّ والموعظة الحسنة.

المبحث الثالث:
تشابك قيمة العفَّة مع الحياء والغَيْرة

● أوّلًا: تلازم الحياء والعفَّة

ورد في الدعاء عن الحجة عجل الله ,تعالى، فرجه الشريف: ﴿**وَتَفَضَّلْ... عَلى النِّسـاءِ بِالْحَياءِ وَالعفَّة**﴾. فمن الأمـور الملازمة للعفّة، هما: الحياء، والغَيْرة، وقد ركّزت النصوص الإسـلاميّة على هاتـين الصفتين، وأظهرت تلازمهـما مع العفَّة، نذكـر منها ما ورد عن أمير المؤمنين عليه السـلام أنّ الحياء يصدّ عن الفعل القبيح، وقد تقدّم أنّ العفَّة هي الامتناع عن القبيح، مـمّا يعني أنّ سـبب العفَّة هو الحيـاء، ولذا ورد عن أمـير المؤمنين عليه السّلام: «سبب العفَّة الحياء»[1]، وعنه عليه السلام: «على قدر الحياء تكون العفَّة»[2].

مع ضرورة الإشـارة إلى أنّ الحياء لا يختصّ بالنساء، بل يشمل الرجال، نعم، قد تختلف الدرجة بين النسـاء والرجـال، كما ورد في الروايات التي تتحـدّث عن أنّ الحياء على عشرة أجزاء: تسـعة في النسـاء، وواحدة في الرجال[3].

يقول الإمام الخمينـي: «العفَّة والحياء والخجل من فِطَر العائلة البشريّة

1 - المجلسي، بحار الأنوار، ج78، ص309.
2 - الريشهري، ميزان الحكمة، ج1، ص718.
3 - الصدوق، الخصال، ص438.

كلها، كما أنّ التهتك والفحش وعدم الحياء على خلاف تلك الفطرة، لهذا فالعشـق للعفّة والحياء مخمّر في فطرة العائلـة البشريّة والتنفّر عن الهتك وعدم الحياء مخمّر فيها أيضًا»[1].

● ثانيًا: تلازم الغَيْرة والعفَّة

تُعَدُّ الغَيْرة من الفضائل الأخلاقيَّة المهمّة في الإسلام، حيث إنّها الباعث الأوّل والأسـاس لدفـاع المرء عـن عرضه، وشرفـه، ودينه، وأرضـه. أمّا مظاهرهـا فكثيرة، كأ لَّا يغفل المؤمنون عن زوجاتهـم، وأن لا يهملوا كلّ ما يؤدّي إلى الفسـاد، بالإضافة إلى تطبيق فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على أكمل وجه، والجهاد في سبيل اللّه بغية الدفاع عن الأرض والعرض وبذل النفس قربانًا في حضرة الأهداف الإلهيَّة الساميّة.

وقد ركّزت الأخلاق الإسـلاميّة على صفة الغَـيْرة وربطتها بالعفَّة برباط وثيق كما ورد في الروايات، فعن أمير المؤمنين (عليه السلام): «قدر الرجل على قدر همّته... وشجاعته على قدر أنفته، وعفّته على قدر غيرته»[2].

ولذلك نلاحظ أيضًا الربط في الروايات بين تحلّي الإنسـان بصفة الغَيْرة وعـدم إتيان الفواحـش، خصوصًا الفواحش الجنسـيّة؛ كالزنـا, والخيانة الزوجيّة وغيرها، فعن أمير المؤمنين عليه السلام: «ما زنى غيور قطّ»[3].

بل الغيور من الصفات أو الأسـماء الإلهيَّة، فقد ورد عن الإمام الصادق

1 - الخميني، جنود العقل والجهل، ص199.
2 - نهج البلاغة، الحكمة47
3 - المصدر نفسه

(عليه السلام): «إنّ اللّه ,تبارك وتعالى، غيور، يُحبُّ كلَّ غيور، ولغيرته حرّم الفواحش ظاهرها وباطنها»[1].

إنّ للغيرة ثمارًا وآثارًا متعدّدة، من أبرزها وأجلاها فضيلة العفَّة، كما تقدّم في الروايــة: «وعفّته على قدر غيرته»، فإنّ الغَيْرة من الصفات التي تنشّــط حضور العفــاف في المجتمع، وغياب الغَيْرة يــؤدي إلى إضعاف العفاف في المجتمــع. كما أنّ هاتــين الفضيلتين «الحياء والغَــيْرة» لا بدّ لهما من الانتشــار على مســتوى المجتمع قاطبــةً من أجل تحقيق بيئــة تكاد تكون خالية من الفساد والرذائل.

● ثالثًا: الرجل الذي لا يغار على عرضه ويرضى بالسفور هو: ديُّوث

وجعلت الروايات مقابل الغَيْرة صفة الدِّياثة، والديُّوث هو الإنسان الذي لا يغــار على أهله أو بعــض مناكحه وينزع اللّه ,تعــالى، منه روح الإيمان وتســمّيه الملائكة: الديُّــوث، وقد يصل الديوث نتيجــة التعوّد على ملكة الدِّياثــة مقابــل الغَيْرة إلى مرحلة يغض النظر عن خيانة زوجته، فقد ســئل صــلّى الله عليه وآله: ومــا الديُّوث؟ فقال : «الذي تــزني امرأته وهو يعلم بها»[2].

هــذا من باب ذكر أبــرز مصاديق الدِّياثة، وإلاّ فإنّ مفهوم الدِّياثة واســع

1 - الكليني، الكافي، ج5، ص535، ح1

2 - الحر العاملي، وسائل الشيعة ، ج20، ص327، ح 25740.

يشـمل مطلق عدم الغَيْرة على العرض والزوجـة والبنات، فمن يرض بأن تخرج زوجته أو ابنته سافرة متبرّجة مثلاً دون أن يشعر بالغَيْرة والحميّة فهو ديُّوث، ومن يرض أن ينظر الآخرون والشـباب إلى سـفور بناته وتبرّجهنّ أو يسـمحْ لهنّ بالاختلاط غير المنضبط بالرجال مع المفاكهة والممازحة والمصافحة ... إلخ، يصدق عليه تسمية: «ديُّوث».

- **رابعًا: نقض الرؤية الغربيّة لغيرة الرجل**

وبهذا يتبيّن فسـاد ما ينظّـر له بعض العلماء الغربيّين مـن أنّ الغَيْرة هي الناحيـة الأنانيّة من العلاقـة الغراميّة التي تهـدف إلى الامتلاك الحصريّ للكائن المحبوب سواء أكان امرأة أم شخصًا آخر.

وكذلك فسـاد نظريّة علم الأخلاق الماركسيّ الذي يقرأ الغَيْرة على أنّها صفة ذات طبيعة غريزيّة بحتـة تتميّز بها المجتمعات البدائيّة عندما يكون الإنسـان قريبًا من الحالة الحيوانيّة، أمّا مع التطور العقلي والثقافيّ للناس فقد سـاعد ذلك على القضـاء على تلك الغَيْرة، وأنّ هـذا النوع من الغَيْرة يترافق في الزواج مع أنانيّة الزوج تحت شعار: «زوجتي محصّنة كملكيتي تمامًـا»، أي أنّ الغَيْرة تنطلق من الأنانيّـة وحب التملّك، وهي تطاول على الحرِّيَّة الشخصيّة للزوجة.

وهكـذا يحـوّل هؤلاء الغَـيْرة من قيمة فطريّة وإنسـانيّة -كـما تقدّم عن الإمـام الخمينـيّ- لحفظ العفَّـة في المجتمع إلى قيمة سـلبيّة بدائيّة تقوم على أسـاس الأنانيّة والتملّك وتتنافى مع التطور الثقافيّ، وتُعَدُّ تعديًا على الحرِّيَّة الشخصيّة للزوجة أو البنات أو النساء عامّة في المجتمع.

هـؤلاء يريدون قلب هـرم القيم، وتحويـل القيمة الإنسـانيّة إلى غريزة حيوانيّـة ليمارسـوا الفجور والفسـاد في المجتمـع تحت شـعار الحرِّيَّة والتطوّر والتقدّم.

وفي ظلّ التحديات المفروضة على مجتمعاتنا الإسلاميّة بهدف تجريدها من العفَّة والعفاف، فمن المهمّ أن نبرز ونفنّد مظاهر ذلك الهجوم الثقافيّ والحضاريّ على نسـائنا ورجالنا مـن قبل أعداء اللّه والأمّـة، الذي يرمي إلى محو هويتنا الإسـلاميّة واستبدالها عبر وسائل متعدّدة ومتكثّرة. ونحن من باب الحرص على أبناء وبنات أمّتنا سـنحاول مناقشـة هذه التحديات العصريّة وسـبل مواجهتها بهدف وقاية مجتمعاتنا من الفسـاد والانحدار الأخلاقيّ الذي يبعدنا عن شريعتنا وقيمنا خصوصًا العفَّة والحياء والغَيْرة.

الفصل الثاني:

الحرب الثقافيّة على الحجاب

المبحث الأوّل:
في مفهوم الحجاب

كلمة الحجاب تعني السَّتْر، كما أنّها تعني البُردة والحاجب. لكنّ استعمالها في الأعمّ جاء بمعنى البُردة. وتدلّ هذه الكلمة على مفهوم السَّتْر هنا باعتبار أنّ البُردة وسيلة للسَّتر[1].

ومن الجدير بالذكر أنّ استخدام مصطلح «الحجاب»، يعدّ من المصطلحات الحديثة نسبيًّا لأنّ فقهاء الإسلام القدماء كانوا يستخدمون مصطلح «السَّتْر» بدلاً من الحجاب، وحتى القرآن استخدم مصطلحات، مثل «الخُمُر»، و«الجِلباب» للتعبير عن السَّتْر.

وكان من الأفضل استمرار استخدام مصطلح «السَّتْر»؛ لأنّ هناك من لم يحسن فهم مصطلح «الحجاب» -على أحسن ظنّ- أو من استغلّه لتشويه هذه الفلسفة الإلهيَّة، فادّعى أنّ الحجاب يعني حجب المرأة عن الحياة، وحبسها في منزلها، إلاّ أنّه من الواضح أنّ الإسلام لم يأتِ بمثل هذه الأحكام، بل منح المرأة كامل حريّتها، ولكن ضمن الحدود الشرعيّة التي تضبط تصرفاتها وسلوكاتها وتحصّنها.

فالحجاب في الإسلام يعني تستّر المرأة أمام الأجانب وعدم ظهورها بمظهر مثير، لذا جاءت التشريعات الإلهيَّة بحدود تضبط مظهر المرأة،

1 - مرتضى مطهري، مسألة الحجاب، ص28.

حيــث أمرتها بعدم إظهار زينتها أمــام الأجانب. ويمكن من خلال الآيات القرآنيَّــة والأحاديث الواردة عن النبيّ (ص) وأهل بيته (ع)، تقســيم الزينة إلى قسمين:

- زينة ذاتيّة تشمل جسدها ومفاتنها.
- وزينة خارجيّة تشمل الأمور الخارجيّة المضافة إلى جسد المرأة بهدف تزيينه وتجميله، مثل الذهب ومستحضرات التجميل وغيرها.

جــاءت هذه التشريعات الإســلاميّة لتحفظ للمرأة مكانتهــا التي منحها إياهــا اللّــه ,تعالى،، كما وتحفظ حقوقها كإنســان في المقــام الأوّل، لأنّ تبرّجها وتزيّنها أمام الأجانب يخلع عنها لباس الإنسانيّة، ويُحوِّلها إلى أداة لاستمتاع الرجال، حتى ولو اقتصر هذا الاستمتاع على الاستمتاع البصريّ.

لكنّ هــذه التشريعات لا تقتصر عــلى حماية المرأة، بل تتّســع لتحمي الرجال والنساء معًا ، فستر النساء يحمي الرجال من الفتنة وإثارة الشهوات والغرائز وبالتالي الوقوع في المحرّمات، وحتى لو اقتصرت هذه المحرّمات على النظر المحرّم.

لــذا، يمكننا القــول: إنّ التشريعات الإســلاميّة فيما يخصّ ســتر المرأة تحمي المجتمع بجميع أفراده، وتحصّنه من الفساد والرذائل.

المبحث الثاني:
الحرب الغربيّة على الحجاب

● أولاً: الاستعمار والحرب على الحجاب

غزا الاستعمار الغربيّ بلادنا الإسلاميّة في أواسط القرن التاسع عشر، ومن هنا بدأ احتكاك الغربيين بالنساء المسلمات، حيث كانت السلطات الغربيّة تنظر إليْهنّ بنظرة فوقيّة باعتبارهنّ النساء المضطهدات والخاضعات للسلطة الذكوريّة التي تحرمهنّ من ممارسة حقوقهنّ، هذه النظرة كانت نقطة البداية لتوغّل اليد الغربيّة في عقول نساء المسلمين، حيث بدأت الحملات -عبر رجال السلطات الغربيّة وزوجاتهم والعاملات معهم- التي تشجّع النساء على خلع حجابهنّ وإبراز مفاتنهنّ تحت شعارات الحرِّيَّة والتمكين والتقدّم وغيرها.

نعم، يمكن أن يكون الحجاب لدى بعض النساء عادة أكثر منه عبادة، لهذا استجابت تلك النساء للدعوات الغربيّة وبدأن بخلع حجابهنّ، أمّا المرأة المؤمنة التي تدرك أنّ الحجاب أمرٌ إلهيّ لا بدّ لها من الامتثال له، فلم تخضع لتلك الحملات الشَّعْواء, ولم تنجرّ مع تلك الموجات الاستعماريّة.

وفي هذا السياق، تذكر الكاتبة الكنديّة «كاثرين بولوك» في كتابها «نظرة الغرب إلى الحجاب»، قصّة محامٍ أوروبيّ أقام بالجزائر، وسمحت له طبيعة عمله برؤية النساء من دون نقاب، فقال مُتحدِّثا إلى أحد زملائه:

«يقع على الرجال الجزائريين ذنبُ إخفاء هذه النماذج الجميلة من الحُسن الغريب، إنّ شعبًا لديه هذا الكنز من الدرر ونماذج الكمال الطبيعيّ، ينبغي ألاّ يحتفظ بها لنفسه، وأن يكشفها ويعرضها، وإن لم يكن من سبيل لذلك إلاّ إرغامهم عليه». ورغم أنّ الأمر لم يكن سوى أمنية من مُحامٍ أراد عرض جمال الشرق على العالم من دون حجاب، فإنّ السلطات الفرنسيّة في الجزائر شجَّعت بالفعل النساء على نزع حجابهن، حين أقدم عدد من القادة العسكريّين الفرنسيّين بتنسيق مع زوجاتهم على تنظيم «مهرجان لخلع الحجاب» في ١٧ مايو/أيار ١٩٥٨، إذ نزعت بعض الجزائريَّات حجابهن وحرْقنه بحمايةٍ من رجال الشرطة الفرنسيّين.

● ثانيًا: الحرب على الحجاب في الدول الغربيّة- التجربة الفرنسيّة

أمّا بعد أن أنهت تلك الدول أعمالها الاستعماريّة في بلادنا، حيث تركتها مدمّرة، منهوبة ولا تصلح للعيش الكريم، بدأت حملات اللّجوء من العالم الإسلاميّ إلى العالم الغربيّ، فانتقل الصراع مع الحجاب إلى عُقر دار الغرب. فبدأت الحملات التي تدعو إلى منع الحجاب تحت ذريعة أنّه لا يمثّل الهُويَّة الغربيّة من جهة، أو أنّه يعبرّ عن الهُوِيَّة الدينيّة للمرأة ما قد يتسبب بالمشكلات والكراهيَّة بينها وبين المواطنين الّذين ينتمون إلى ديانات أخرى غير الإسلام وغيرها من الذرائع التي لا نهاية لها.

وعندما نتحدّث عن الحجاب ومواجهته في الغرب، تأتي فرنسا على رأس لائحة العداء مع الحجاب، فقد وصل انحياز فرنسا ضدّ الحجاب

إلى أن بـدأت بتقييد المرأة المحجَّبة من خلال سـنّ بعـض القوانين التي تهدف إلى التضييق على المحجَّبة مثل:

- منـع ارتـداء الحجاب أو أي رمز دينيّ من قبل الأشـخاص المرافقين للتلاميذ في الرحلات المدرسيّة.
- السـماح للمسـابح العامة بمنع ارتداء البوركيني (وهـو لباس ترتديه المحجّبات في أماكن السباحة مثل المسابح والشواطئ).
- منـع ارتداء أي رمز دينيّ مـن قبل القاصرين في الأماكن العامة، ومنع القاصرين من ارتداء أي لباس يعني دونية المرأة تجاه الرجل[1].

لم تكتفِ هذه الدولة العلمانيّة بذلك، حتى وصل بها الأمر إلى محاولة منع المرأة المحجَّبة من الحصول على الجنسيّة الفرنسيّة، ففي عام ١٩٩٣، كشفت المفتشيّة العامّة الفرنسيّة للشؤون الاجتماعيَّة عن تقرير ينتقد بعض ممارسات إدارة التجنيس، على اعتبار عدم احترام هذه الأخيرة لمبدأ تكافؤ الفرص في منح الجنسـيّة الفرنسيّة، إذ تعتمد في ذلك على معايير غاية في الضبابيّة مثل نسـبة اندماج صاحب الطلب مع قِيَم الجنسيّة الفرنسيّة، وهو شيء لا يمكن قياسـه بوضوح،على نقيض المعايير الأخرى؛ مثل: فحص القـدرات المالية للمترشِّـح، ومـدى قانونية إقامته بالبـلاد، ومدى التزامه بالقانون المحليّ. تستفيد إدارة التجنيس في فرنسا من وجود بعض الثغرات في قانـون التجنيس، الـذي لا يتطرَّق بوضوح لجميع عنـاصر الرفض أو القبـول، وهو ما يمنح كل ولاية الحق في تحديد المُواطِن الصالح انطلاقا

1 - الحجاب: نقاش لا ينتهي في فرنسا - BBC News عربي

من مجموعة نقاط تُحدِّدها بنفسها دون سند قانونيّ صريح[1].

كما أنّ الانحطاط والتنميط المقيت قد وصل بالغرب في مسألة الحجاب إلى حدّ التفاهة حيث طلب «جون بيير شوفانشون»، وزير الداخليّة الفرنسيّ السابق، من موظفي إدارات التجنيس الإشارة في تقاريرهم إلى الحجاب مع حثّهم على التمييز بين الحجاب السيء والحجاب المقبول، والحجاب السيء ببساطة هو الحجاب الإسلاميّ الذي تحرص فيه المحجَّبة على تغطية جسدها كاملاً بما في ذلك منطقة العنق والأذنين والشعر كله، فيما الحجاب المقبول هو الحجاب التقليديّ الذي ترتديه النساء في عدد من الدول الإسلاميّة ويُعَدُّ مظهرًا ثقافيًا أكثر ولا يغطي جسد المرأة بالدرجة نفسها. وقد قالت إحدى المشاركات في هذه الدراسة: إنها تُفرِّق بين الحجاب الشعبي والحجاب الإسلاميّ بالألوان والزركشات، إذ تُعَدُّ أن الحجاب الإسلاميّ دائمًا ما يكون أسود في حين يكون الحجاب الشعبي متألِّقا بالألوان، وهو ما يعكس نوعًا من السطحيّة والتنميط لدى بعض موظفي إدارة التجنيس[2].

● ثالثًا: الحرب على الحجاب في المسلسلات التلفازيَّة- التجربة البريطانيّة

لم يكتفِ الغرب بحربه على الحجاب على المستوى القانونيّ

1 - https://www.cairn.info/revue-sociologie-20104--page-439.htm

2 - https://www.cairn.info/revue-sociologie-20104--page-439.htm

والمـدنيّ، بـل تخطاه ليشـمل جميـع الميادين وأبرزهـا الميدان الإعلاميّ والسـينمائيّ، الذي يحاول تشويه صورة المحجَّبة وإبرازها على أنّها متخلفة ورجعيّة أو مجرمة و»إرهابيّة» كما جاء في المسلسل البريطانيّ Bodyguard، إذ انطلق المسلسـل بمشـهد لسـيدة تضع الحجاب وحولها حزام ناسـف، خائفة، ومختبئة في حمام قطار، أو في أحسن الأحوال أمّ أو أخت أو زوجة أحد المخرّبين أو الإرهابيين -حسب وصفهم- الّذين يتعدّون على المواطنين ويمسّون أمن البلاد، أو أنّها ترتدي الحجاب كرهًا بفعل ضغط السـلطة الذكوريّة الأسْريّة عليها كما بيّن المسلسـل الشـهير Mr.robot حيث لعبت «سـونيتا ماني» دور «شـامة بيسـواس» الفتاة التي تعيش مـع عائلتها الإيرانيّة المهاجـرة في بروكلين، وبعد أن تهرب شـامة من منزل والدها تخلع الحجاب.

والأمثلـة على ذلك كثـيرة جدًّا، ولكن نكتفي بهـذه الصورة المختصرة، وفيها كفاية لرسـم الصورة بشـكلها الأوسـع، وأمام هذا المشهد لم تتوانَ النسـاء المسـلمات عـن الدفـاع عـن حقوقهـنّ في الغرب حيـث أقمن التظاهرات المنددّة بمنعهنّ من حقوقهنّ على أسس عنصريّة متّكئين بذلك على الدساتير والقوانين الغربيّة التي تدّعي الديمقراطيّة وحريّة الفرد. حتى أصبـح الحجاب رمزًا للثورة على الطغيان الغـربيّ، وجاء بمفعولٍ عكسيّ حيث بدأت النسـاء المسـلمات اللّاتي لم يكنّ يرتدين الحجاب، بارتدائه طوعًـا، معبرّين بذلك عن تضامنهـنّ مع أخواتهـنّ المحجبّات، ومبدين اعتراضًا على الأنظمة الغربيّة.

المبحث الثالث:
الحرب على الحجاب في العالَمَيْن العربيّ والإسلاميّ

تمهيد:

لم يتخـلَ الغرب عن احتـلال بلادنا إلّا وقد حرص عـلى تأمين أدوات وأذرع له سلّمهم زمام الحكم والسلطة ليكملوا مشروعه الشيطانيّ، برؤساء وملوك ينتمون في الظاهر إلى البلد وأبنائه.

فعلى سـبيل المثـال، ترك لنـا في مصر الحكـم الملـكيّ المتعاون مع بريطانيا، وفي إيران الحكم البهلويّ الذي كان يشكلّ الموروث البريطانيّ المثاليّ، وغيرها من البلاد ك(تونـس) و(الجزائر) بعد الاحتلال الفرنسيّ. أمّا في تركيا فجاء الحلفاء (فرنسـا وبريطانيا) بـ«أتاتورك» بعد القضاء على السلطنة العثمانيّة.

كلّ تلك السـلطات والحكومات التي أخذت على عاتقها إكمال مسيرة المحتلّين، بذلت جهودًا جمّة في مواجهة الإسـلام والمسلمين، ومن أبرز المظاهر الإسلاميّة التي قامت بمواجهتها «الحجاب».

● أوّلًا: تجربة أتاتورك في تركيا وتبعاتها السلبيّة

في تركيا، بدأت الحملة العلمانيّة بقيادة كمال أتاتورك بمواجهة الحجاب والمحجّبات من خلال سـنّ قوانين تمنع الحجاب تحت طائلة العقوبات الشـديدة. ونظّمت المؤتمـرات والفعاليات التي تترأسـها زوجة أتاتورك

«لطيفة هانم» وزوجات رجالات السلطة، وذلك بإيعاز من السلطة.

بدأت النساء بالمشاركة في هذه التجمعات بهدف التقرّب من السلطة وإبراز الولاء لها، وعلى مرّ الأيام والأعوام بدأ موضوع خلع الحجاب يأخذ طابعًا وطنيًّا وقوميًّا حيث أصبح يعبرّ عن الهوية الوطنيّة والقوميّة التركيّة التي أسّسها أتاتورك.

لم يتخلّص مسلمو تركيا من هذا العلمانيّ لأنّه حرص على أن يترك خليفةً له يكمل مسيرته العلمانيّة وهو «عصمت اينينو»، وقد نجح هذا الخليفة في القضاء على الحجاب في المدن التركيّة الكبرى كإسطنبول وأنقرة، حيث انتشر السفور والتبرّج وأصبح أمرًا اعتياديًّا.

● ثانيًا: الحجاب وتجربة النظام البهلوي في إيران

لم يكن الحجاب في إيران مظهرًا من مظاهر الدّين الإسلاميّ فحسب، بل تخطّاه ليأخذ طابعًا سياسيًّا، حيث كان من علامات معارضة النظام البهلويّ ارتداء الحجاب.

تسلّم رضا بهلوي زمام الحكم في إيران -بعد رحيل البريطانيين عنها- عام ١٩٢٥، بدأ البهلويّ الأوّل بتحفيز الفتيات الإيرانيات على خلع حجابهنّ متأسّيًّا بنظيره التركيّ من خلال الفعاليات التي كانت تنظمّها زوجة الشاه برفقة العديد من زوجات رجال السلطة في إيران، والتي تشجّع على خلع الحجاب، إلاّ أنّ ذلك الأسلوب الناعم لم ينجح مع النساء المسلمات في إيران، فاضطرّ الشاه الأوّل إلى حظر الحجاب من خلال سنّ قانون يمنع من ارتداء الحجاب، وذلك في كانون الثاني عام ١٩٣٦.

وبفعل تمسّك جماعة كبيرة من الشعب الإيرانيّ بالإسلام، لم تتوقف الاحتجاجات المناهضة لذلك القانون، فضلاً عن النظام بجلّه.

بعد تنحية البهلويّ الأوّل عن الحكم وتسلّم ابنه محمد رضا بهلوي، لم يستطيع الابن الصمود أمام الشعب الغاضب فألغى قانون منع الحجاب عام ١٩٤٤، لكنّه استمرّ بتحفيز الفتيات على خلعه، إلى أن أضاءت شعلة الثورة الإسلاميّة بقيادة الإمام الخميني (ره)، فعاد الحجاب إلى واجهة العمل السياسيّ في إيران فأصبح الحجاب مظهرًا من مظاهر مناهضة النظام.

● ثالثًا: الحجاب وتجربة بورقيبة في تونس

يعدّ الحبيب بورقيبة أوّل رئيس جمهورية لتونس بعد الاحتلال الفرنسيّ، كان بورقيبة من أشدّ المعادين للإسلام، طبعًا وكما جرت العادة تحت شعارات الحرِّيَّة والديمقراطيّة ومحاربة الرجعيّة.

لم يقتصر دور بورقيبة على محاربة الحجاب، إنّما تخطّاها وتعدّى على جلّ التشريعات الإسلاميّة. بعد ثلاثة أشهر فقط من استلامه الحكومة، أصدر عن طريق البرلمان التونسيّ مجلّة الأحوال الشخصيّة عام ١٩٥٦. أصدرت تلك المجلّة العديد من التشريعات، مثل قانون منع تعدُّد الزوجات، ورفع سن زواج الذكور إلى عشرين سنة، والإناث إلى ١٧ سنة، وقانون يسمح للمواطن بالتبني، وأقر بورقيبة قانوناً يسمح للمرأة بالإجهاض، وكذلك إقرار المساواة الكاملة بين الزّوجين في كل ما يتعلق بأسباب الطلاق وإجراءاته وآثاره. وفي عام ١٩٨١ أصدر قانونًا يمنع

النســاء من ارتداء الحجاب باعتباره «مظهرًا مــن مظاهر التمييز والطائفيّة، وينــافي روح العــصر»، وظهر بورقيبة على شاشــة التليفزيــون في احتفال شــعبيّ وهو ينزع أغطية الرأس عن بعض النســاء قائلاً «انظري إلى الدنيا من غير حجاب»[1].

لم تنتــهِ معركة الحجاب في تونس مع عهد بورقيبة، ففي عام ١٩٨٧ قام زين العابدين بن علي بانقلابٍ على حكم بورقيبة وتسلّم هو زمام السلطة.

رغم ضراوة معركة بورقيبة مع الإســلام والحجــاب، إلاّ أنّه لم يصل إلى مرحلــة العــداء التي وصــل إليها خليفته الــذي لم يكتــفِ بالحفاظ على القانون الذي تمّ ســنّه من قبلُ، بل بدأ باســتخدام أدواته الأمنيّة والبوليسيّة لحظر الحجاب في الشــوارع والأماكن العامّة، فقد أقدمت قوّات الشرطة على ملاحقة المحجّبات والتعدّي عليهنّ، بل ونزع حجابهنّ قهرًا.

● رابعًا: بعض المثقّفين المصريّين وتجربة الحجاب:

كان المشهد في مصر مختلفًا نوعًا ما، حيث أخذت معركة الحجاب طابعًا ثقافيًّــا إلى حدٍّ كبير، فقد كان التيّار التغريبيّ الذي يدعو إلى «تحرّر المرأة» عبر نزع حجابها، يضمّ العديد من الكتّاب والشعراء ومثقفي المجتمع.

بدأت شــعلة المعركة ضدّ الحجاب في مصر من خــلال كتاب «تحرير المرأة» للكاتب قاســم أمين، إذْ لقي الكتاب انتشــارًا واســعًا وردود أفعال متباينة.

1 - الحبيب بورقيبة «محرر المرأة»: انظري إلى الدنيا بغير حجاب | زحمة (cairolive.com)

لقد اعتبر الكاتب أنّ التخلّي عن الحجاب أحد مفاتيح حلّ أزمة المرأة والمشاكل الاجتماعيَّة التي تواجهها.

وبدأت كذلك الحملات النسويّة بقيادة هدى الشعراوي بالمسّ بالتشريعات الإلهيَّة، وقامت هذه الحملات بمجابهة أسس إسلاميّة كثيرة وطالبت بالمساواة بين الرجل والمرأة ومنع تعدّد الزوجات أو الحدّ منه وصولاً إلى مسألة الحجاب حيث اعتبره بعض الكتّاب التغريبيِّين مظهرًا من مظاهر التخلّف الثقافيّ الذي يعيد المجتمع إلى العصور القديمة.

وفي السياق نفسه، تمّ استخدام صناعة الأفلام التي انتشرت واشتهرت في مصر لنسف قيمة العفاف، حيث بثّت السينما المصريّة جميع أنواع السفور والتبرّج، والمشاهد الخلاعية، التي تدعو بطريقة مبطنّة إلى ممارسة الفساد والرذيلة ونشر العلاقات المحرّمة بين الرجال والنساء.

وبعد أن سيطر الحكم العلمانيّ القوميّ على مصر، شُرّعت أبواب السفور والتبرّج على مصراعيها، خصوصًا بعد التضييق على الحركات الإسلاميّة التي كانت تواجه وتجابه الموجة العلمانيّة الغربيّة، حيث منعها النظام الناصريّ من ممارسة نشاطها الدعويّ الذي كان يهدف إلى تحفيز المسلمين على التمسك بدينهم وعدم الانجرار إلى الحملات الغربيّة.

● **خامسًا: استمرار آثار الحرب على الحجاب حتى يومنا الحاضر**

إنّ تلك المواجهات والمعارك التاريخيّة لا تزال آثارها ومفاعيلها سارية حتى يومنا الحاليّ، ففي تركيا ما زالت المحجّبات يتعرضنّ للهجوم من قبل الأشخاص المعادين للحجاب والإسلام المتأثّرين بالتاريخ العنصريّ

تجـاه المحجّبـات. ففـي حادثة مروّعـة، هاجمـت امرأة تركيّـة في حيّ إسنيورت بإسطنبول نساء محجّبات، محاولةً نزع حجابهنّ.

وقـد أثار هـذا الحادث الصـادم ردود فعـل غاضبة من قبل الناشـطين والجمهور الّذين أعربوا عن اسـتيائهم وغضبهـم إزاء هذا العمل العدائيّ الذي يستهدف الرموز الإسلاميّة[1].

فما زالت تداعيات التجربة العلمانيّة الأتاتوركيّة مسـتمرة حتى اليوم في تركيا، حيـث تدفع المحجّبـات التركيّات ثمنًا لهـذا الإرث الثقافي الذي حملـه المجتمع التركيّ حـول النظرة إلى الحجـاب، خصوصًا في مجال ارتداء الحجاب في المؤسسـات العامة، أو ارتدائه في الجامعات التركيّة، أو مؤسسات الشرطة والجيش والقضاء...[2].

وفي إيران عادت مسـألة الحجاب لتأخذ طابعًا سياسيًّا، فبعد وفاة الفتاة «مهسا أميني»،ادّعى تغريبيو إيران المناهضون للحكم الإسلاميّ أنّ مهسا قتلت في مقـرّ الشرطة لأنّها لم تكن تلتـزم بالحجاب الشرعيّ المفروض على النسـاء في إيران. ثمّ بدأت الحملة الشـعواء عـلى الحجاب ورجال الدّين الّذين تمّ استهدافهم والتعرّض لهم في الشوارع. تلك الحملة تدعو إلى خلع الحجاب ونشر السفور في المجتمع الإيرانيّ الذي يتسمّ بالالتزام بالشريعة الإسلاميّة[3].

1 - اعتداء على نساء محجبات في إسطنبول - تركيا الآن (turkeyalaan.net)

2 - https://www.aljazeera.net/news/202222/10/

3 - جدل في مصر بشأن دخول المحجبات للمنشآت السياحية | سكاي نيوز عربية (skynewsarabia.com)

فبفعل تأثّر بعض الجماعات الإيرانيّة بالأفكار الغربيّة من جهة، واستغلال أمريكا وبعض الحكومات الغربيّة هذه الأصوات في الداخل الإيراني لخدمة الأجندة السياسيّة لها، طُرحت مسألة الحجاب بقوة في الفترة الأخيرة في إيران، حيث شهدت بعض المناطق الإيرانية حالة إحجام عدد متزايد من النساء عن ارتداء الحجاب وتغطية شعورهن في الأماكن العامة، بل والسخرية من الحجاب، والترويج إلى السفور والتعرّي، خصوصًا على شبكات التواصل الاجتماعيّ، وهو ما ينتهك قواعد اللباس وفق قانون الجمهوريّة الإسلاميّة في إيران.

وما زالت آثار علمنة المجتمع التونسيّ تنعكس حتى اليوم على طبيعة النظرة إلى الحجاب، بل على طبيعة تفكير المرأة التونسية عامَّة تجاه القضايا التي تخصّ المرأة.

وإذا نظرنا إلى مصر اليوم، نرى أنّ المحجّبات مازلن يعانين من التمييز والعنصريّة، ففي العام السابق تفجرت حالة من الجدل في مصر، حول ما أثير عن منع إحدى المنشآت السياحيَّة دخول المحجّبات إليها. وبدأت القصّة بمقطع فيديو نشرته إحدى الفتيات على مواقع التواصل الاجتماعيّ قالت فيه: إنَّها قامت بإجراء حجز للاحتفال بعيد ميلادها في أحد المطاعم الشهيرة بالقاهرة، ولكن حينما حضرت هي وصديقاتها فوجئت بإدارة المطعم تطلب من إحدى صديقاتها المغادرة لأن المكان لا يسمح بدخول المحجّبات. وأوضحت الفتاة أن كل سبل التفاهم مع إدارة المطعم باءت بالفشل، واضطرّت للمغادرة هي وصديقاتها، بعدما عبرّت عن غضبها واستيائها الشديد من «هذا التمييز».

● سادسًا: هل المجتمعات البدائيّة أكثر تطوّرًا وازدهارًا من المجتمع الإسلاميّ؟!! هل انتشار التعرّي والسفور يساهم في ابتكار تقنيات علميّة تمكنّه من التقدّم؟!!

بعد أن رأينا أنّ كلّ حرب شنّت على الإسلام والحجاب كانت من رواسب وتأثيرات الغرب، لكنّ الأدوات الحاكمة كانت أكثر تشدّدًا وصرامة في معركتها -أو كما يقال كان ملكًا أكثر من الملك- وذلك لحرصها على إبراز الولاء للغرب، أو الظهور بصورة الرجل الذي يريد بناء المجتمع المتحضّر والمتقدّم والمنفتح والعصريّ... كما يظهر ذلك من تصريحاتهم، كما في تصريح الحكومة الإيرانيّة بعد إصدار الشاه مرسوم حظر الحجاب، حيث جاء فيه: «الغربيون الآن لن يضحكوا علينا» على أساس أنّ الحجاب هو مثار للسخرية والضحك من قبل المجتمع الغربي لكونه من مظاهر التخلّف والرجعيّة والتقاليد البالية، بالإضافة إلى الحقد الذي تكنّه تلك الشخصيّات العلمانيّة تجاه مجتمعاتها المسلمة. تمّ استخدام مصطلحات مثل «التحرّر» و«التقدّم» و«الحرِّيَّة» و«الازدهار الثقافيّ» في مواجهة الحجاب.

لكنّ السؤال الذي يطرح نفسه: ما العلاقة الرابطة بين التقدّم الثقافيّ والسفور والتعرّي؟!! فهل المجتمعات البدائيّة التي لم تكن فكرة السَّتْرْ عندها ناضجة بما يكفي، كانت أكثر تطوّرًا وازدهارًا من المجتمع الإسلاميّ بقيادة محمد بن عبد اللّه (ص)؟!! أمّ أنّ انتشار الفساد والزنا والفواحش في المجتمع يساعده في ابتكار أساليب وتقنيات علميّة تمكنّه من التقدّم؟!!

طبعًا، كلّ تلك الادّعاءات لا ريب في بطلانها وفسادها، فأجلى وأوضح نموذج على الدولة والمجتمع المتحضّر الذي يسوده العدل هو المجتمع والدولة المحمديّة، حيث حكم النبيّ (ص) بما أنزل اللّه، وهل لأي سلطات وقوانين وضعيّة أنّ تنظّم المجتمع وتحفظه كما تفعل التشريعات الإلهيَّة؟! ﴿**أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ**﴾[1].

1 - سورة الملك، الآية: 14.

المبحث الرابع:
محاولة التشكيك بفريضة الحجاب وإنكار وجوبه

تمهيد:

حاول المستغربون ومدّعو الحداثة والتنوير التشكيك في فريضة الحجاب، بل أنكروا وجوبه وفرضه، حيث ادّعوا أنّه عادة عربيّة قديمة، أو أنّ المسلمين قد اكتسبوا هذه العادة من باقي الشعوب كالفرس على سبيل المثال. إلاّ أنّهم لم يفقهوا أنّ السَّتْر يعدّ من التشريعات المشتركة بين جميع الأديان السماويّة، فمن الطبيعيّ أن يكون منتشرًا قبل وجود الإسلام. ونأخذ بعض النماذج المشكّكة في فريضة الحجاب أو المنكرة لوجوبه:

● أوّلًا: أستاذ الفقه المقارن في مصر سعد الدّين الهلالي:

وهو أستاذ الفقه المقارن في جامعة الأزهر في مصر، أتت تصريحات سعد الدّين الهلالي خلال لقاء في برنامج «الحكاية» من تقديم الإعلامي المصري عمرو أديب. فقد أدلى الهلالي بتصريحات مثيرة للجدل بشأن فريضة حجاب المرأة في الإسلام، إذ قال: «إنه لا يوجد نص يؤكّد فريضة الحجاب». كما شكّك في صحّة حديث الحجاب الذي يقول إنه «إذا بلغت المرأة المحيض لا يظهر منها غير وجهها وكفيها». وقال الهلالي «إنّ هذا الحديث لم يظهر إلا بعد وفاة الرسول بنحو ٢٤٠ عامًا، وهو حديث ضعيف»[1].

1 - الحجاب: سعد الدين الهلالي ينفي فرضيته والأزهر يرد وتجدد الجدل حول حدود

ومـن الواضح بطلان هذا الادّعـاء، لأنّ هذا المدّعي لم يلتفت إلى مصادر التشريع الإسـلاميّ والتي تشـمل الكتاب والسـنّة والإجـماع. فعندما يكون التشريع واضحًا في القرآن الكريم، لا داعي للبحث عن أحاديث النبيّ (ص).

ومـن أبرز وأجلى الآيات التي تحكم بوجوب الحجاب على المرأة المسـلمة هـي قوله ,تعالى،: ﴿**وَقُـل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِـنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُـنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَـا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ**﴾[1]

فالخُمُر بضمّتين جمع خمار وهو ما تغطي به المرأة رأسـها وينسـدل على صدرها، والجيوب جمع جيب بالفتح فالسكون وهو معروف والمراد بالجيوب الصدور، والمعنى: وليلقين بأطراف مقانعهنّ على صدورهنّ ليسترنها بها[2].

وكذلـك قوله ,تعـالى،: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُـل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَـاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا**﴾[3]

والجلابيب جمع جلباب، وهو ثوب تشتمل به المرأة، فيغطي جميع بدنها، أو الخمار الذي تغطي به رأسها ووجهها.

وقولـه: ﴿**يدنـين عليهن مـن جلابيبهن**﴾ أي يتسـتَّرن بهـا، فلا تظهر جيوبهن وصدورهن للناظرين.

«تجديد التراث الإسلامي» - BBC News عربي.

1 - سورة النور، الآية: 31.

2 - الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج 15، ص112.

3 - سورة الأحزاب، الآية: 59.

وقولـه: ﴿**ذلك أدنى أن يُعرفن فلا يؤذين**﴾؛ أي سـتر جميع البدن أقرب إلى أن يعرفن أنّهن أهل السَّـترْ والصلاح فلا يؤذين أي لا يؤذيهن أهل الفسق بالتعرض لهن[1].

● **ثانيًا: المهندس السوريّ محمد شحرور**

وهو مهندس وباحث ومفكّر سـوريّ، وأحد أسـاتذة الهندسـة المدنيّة في جامعة دمشق ومؤلّف ومنظّر لما أُطلِق عليه «القراءة المعاصرة للقرآن».

تنـاول محمد شـحرور آيتي الحجاب وأخذ بتفسـيرهما عـلى نحوٍ خاص يسـمّيه المسـتغربون «قراءة معاصرة ومتجـدّدة للقـرآن»، وكأنّ القرآن متغيّر بحسب الزمان والمكان والظروف.

الآيـة الأولى التـي شرع بتفسـيرها هـي ﴿**يَا أَيُّهَـا النَّبِيُّ قُـل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَـاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِـن جَلَابِيبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْـنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُـورًا رَّحِيمًا**﴾[2]، فقال: إنّ الآية المذكورة تخاطب النبيّ وليس الرسول، والنبيّ هو الذي يتلقّى أنباء الغيب وليس مكلّفًا ببيانها ونشرها، أمّا الرسـول فهو الذي يتلقّى أنباء الغيب مع التكليف بإبلاغها للمجتمـع البشريّ، ولذا فإنّ الطلب المذكـور في الآية وهو إدناء الجلابيب، يعـدّ طلبًا تعليميًّـا لا تشريعيًّا، ويحاكي هدفًا يتماشى مـع عصر النزول وهو تمييز المرأة الحرّة عن الأمة.

1 - الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج 16، ص339-340 .
2 - سورة الأحزاب، الآية: 59.

أوّلًا- لا بدّ لنا أن نناقش الضوابط التي يعتمدها «التجديديُّون» و«المعاصرون» في تأويل وتفسير الآيات، إذ إنّهم يتجاوزون الضوابط العلميّة التي قرّرها المتخصّصون أي العلماء المسلمون في حقل تفسير القرآن، التي منها الأحاديث والسنّة النبويّة، حيث قال اللّه ,تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ**﴾[1]

فمن الجلي أنّ اللّه عزّ وجلّ أوكل تعليم وتفسير القرآن إلى النبيّ الأكرم (ص)، فلا بدّ لمن ينصّب نفسه مفسّرًا ومؤوّلًا للقرآن، أن يرجع إلى أحاديث النبيّ (ص) وأهل بيته عليهم السلام بحكم حديث الثقلين.

فهل هؤلاء المفسّرون الجدد يرجعون فعلاً إلى السنّة النبويّة؟! ليس من الواضح ذلك، إذ إنّهم لو رجعوا إليها لوجدوها ملأى بالأحاديث المفسّرة للآيات المتشابهات، رغم أنّ آية الحجاب المذكورة أعلاه تعدّ من الآيات المحكمات التي لا تحتاج إلى الكثير من التأويل والتفصيل، ويكفي فيها الفهم العربيّ العرفيّ الذي يسمّى بلغة أصول الفقه الظهور القرآنيّ وهو حجّة في مقام الاستدلال على الأحكام الشرعيّة، وليست الاستحسانات والأمزجة الشخصيّة التي لا تستند إلى دليل من قرآن أو سنة أو لغة...

وفي هذا السياق ورد عن الإمام الباقر (ع): «من أفتى الناس برأيه فقد دان اللّه بما لا يعلم، ومن دان اللّه بما لا يعلم فقد ضاد اللّه حيث أحلّ وحرّم فيما لا يعلم.»[2]

1 - سورة الجمعة، الآية: 2.
2 - المصدر نفسه

وعن الإمام الصادق (ع): «من نصّب نفسه للقياس لم يزل دهره في التباس، ومن دان اللّه بالرأي لم يزل دهره في ارتماس»[1].

نقض ومناقشة تفسير محمد شحرور للآية القرآنيَّة الكريمة:

وبالعودة إلى تفسير محمد شحرور للآية، نقول:

● **أوّلًا:** إنّ اختتام الآية بـ«كان اللّه غفورًا رحيمًا»، لهو خير دليل على أنّ ترك هذا الأمر يعدّ ذنبًا، فلو كان الطلب تعليميًّا كما ادّعى شحرور، لم تُختتم هذه الآية بذكر رحمة ومغفرة اللّه ,تعالى، لأنّ غير الذنب ليس موردًا للتعقيب باسم من أسماء اللّه ,تعالى، التي تدلّ على المغفرة والرحمة.

● **ثانيًا:** نعم، يوجد فرق بين النبيّ والرسول، لكن شحرور لم يصب الفرق الحقيقيّ، فإنّ النبيّ ليست مهمّته تلقي أنباء الغيب فقط، فتاريخ الأنبياء يشهد بأنّ الأنبياء غير أولي العزم كانوا تابعين شريعة الرسل، لكنّهم لم يتوانوا عن تنظيم المجتمع وحكمه، فكانت مهمّتهم عمليّة حيث حكموا بما أنزل اللّه. قال ,تعالى،: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ**﴾[2]، فكيف للنبيّ أن يكتفي بتلقّي أنباء الغير وهو مأمورٌ بتحريض المؤمنين على القتال؟

بالإضافة إلى قوله ,تعالى،: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ ۖ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِن بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ ۚ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا**﴾[3]،

1 - الكليني، الكافي، ج 1، ص58.
2 - سورة الأنفال، الآية: 65.
3 - سورة الطلاق، الآية: 1.

فهل أحكام الطلاق أمورٌ تعليميّـة أم تشريعيّة؟! وإذا عدَّها المفسرون الجدد تعليميّـة، فما معنى قولـه عزّ وجلّ «تلك حدود اللّـه»؟! وما هو ظلم النفس الذي يُرتكب بالتعدّي على حدود اللّه؟!

وأمّـا الآية القرآنيّة التي تدحض جليًّا هذا الادّعاء الباطل، فهي قوله ,تعالى: ﴿**فَبَعَـثَ اللَّهُ النَّبِيِّـينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُـمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُـمَ بَيْنَ النَّـاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ**﴾[1]، فلو كان اسـتخدام النبيّ في القـرآن يعني ذلك الـذي يتلقّى الغيب ويمكث في جبّتـه ولا يبلّغ المجتمع، فكيف نفسّر وصف اللّه ,تعالى، للنبيّين بالمبشّرين والمنذرين، بل كيف أوكل لهم مهمّة الحكم بين الناس؟!

● **ثالثًـا:** إنّ إرجاع الأوامر والنواهـي الإلهيَّة إلى الأزمنة والأمكنة المحدّدة والظـروف التاريخيّة، لهو وجهٌ من وجوه الجهل والفسـاد، فعن أبي عبد اللّه الصادق، عليه السّـلام, أنّه قـال: «حلال محمد حلال أبـدًا إلى يوم القيامة، وحرامه حرام أبدًا إلى يوم القيامة، لا يكون غيره ولا يجئ غيره»[2]

محمد شحرور وآية سورة النور عن الحجاب

عندما يأتي شـحرور إلى آية الحجاب الثانية ويحاول تفسيرها، فيتمادى في الفساد ويأتي بتأويلات ما أنزل اللّه بها من سلطان.

والآية الثانية هي قوله ,تعالى،: ﴿**وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْـنَ فُرُوجَهُـنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُـنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَـا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ**

1 - سورة البقرة، الآية: 213.

2 - الكليني، الكافي، ج 1، ص 58.

﴿بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾[1]

يميّز شحرور بين الزينة الظاهرة والزينة الخفيّة، فيقول إنّ الزينة الظاهرة هي ما أظهره اللّه، فخلق اللّه ظاهر، والزينة الخفيّة هي ما أخفاه اللّه في خلقه. فالزينة الظاهرة بحسب شحرور تشمل الشعر، والوجه، والصدر، والبطن، والظهر، والساق، وهذه زينة ظاهرة لا يجب سترها. وأمّا الزينة الخفيّة هي الجيوب، والجيوب جمع جيب، والجيب فتحة لها طبقتان، وهي تشمل ما بين الإليتين، وما تحت الإبط، وما تحت النهدين، وما بين النهدين، وهذه الزينة هي ما يجب سترها.

● **أوّلًا وقبل أي مناقشة:** فلنتخيل شكل المرأة المسلمة وهي كاشفة كامل جسدها، ما عدا بين الإليتين والإبطين، وما بين وتحت النهدين! حتى الذوق العام لا يقبل بمثل هذا المشهد، بل وحتى أكثر بلاد الغرب ابتعادًا عن الدّين لا تظهر فيها المرأة بهذا الشكل، فما بالك بالتشريعات الإلهيَّة الحكيمة!

● **ثانيًا:** المشكلة الأساس التي يقع فيها شحرور ومن يحذو حذوه، هو غياب ضوابط تفسير القرآن، حتى الضوابط اللّغويّة منها، فمن أين لشحرور تفسير الزينة الخفيّة بالجيوب، بل ومن أين له تفسير مصطلح الجيوب الذي أشار إليه واعتمده، مع أنّه غير موجود في لغة العرب وقواميسهم لا حقيقةً ولا مجازًا؟!

أسئلة كثيرة وكثيرة تُطرح على المفسّرين بالرأي والّذين يعتمدون على مزاجهم وأهوائهم الشخصيّة في تفسير كتاب اللّه المنزل، وكما هي العادة لا جواب يشفي الصدور.

1 - سورة النور، الآية: 31.

الفصل الثالث:

مظاهر ثقافة العفاف في المجتمع الإسلاميّ

المبحث الأوّل:
الضوابط الشرعيّة للحجاب في الإسلام

تمهيد:

أجمع فقهاء الإسلام كافّةً على أصل وجوب فريضة الحجاب، وأجمعوا على وجوب ستر المرأة جسدها في الجملة أمام الأجانب، والمقصود بالأجانب هم غير المحارم من الرّجال، بالإضافة إلى اتّفاقهم على المستثنيين من وجوب ستر المرأة أمامهم الوارد ذكرهم في الآية ٣١ من سورة النور. لكن اختلفوا في بعض التفاصيل، فيما يلي نعرض نماذجَ من الآراء المتنوّعة للفقهاء حول مسألة الحجاب:

● أوّلًا: فقهاء الشيعة الاثني عشريّة

● ذهب بعض الفقهاء إلى وجوب ستر كامل جسد المرأة من دون أيّ استثناء أي بما يشمل الوجه والكفيّن وأسفل الذقن، ومنهم السيّد الخوئيّ (ره)، حيث قال: « يجب على المرأة ستر الوجه والكفّين عن غير الزوج حتى المحارم مع التلذّذ، بل عن غير المحارم مطلقًا»[1]، والمقصود بـ»مطلقًا»، أي سواء مع التلذّذ والريبة والفتنة أم من دونها.

● وقال فقهاء آخرون بوجوب ستر بدن المرأة باستثناء الوجه والكفّين، ومنهم

1 - السيد الخوئي، منهاج الصالحين، ج2، ص260

السيّد اليزدي (ره) والسيد الخميني (قده). لكنّ هذا الاستثناء مقيّد بشروط، منها عدم وجـود ناظر بتلذّذ وريبة، والأمن من الوقـوع في الحرام، بمعنى أنّه حتى لو كان الأصل هو إباحة كشف المرأة وجهها وكفيّها أمام الأجانب، إلاّ أنّها إذا علمت بنظرهم إليها بتلذّذ جنسيّ، فيجب عليها ستر وجهها وكفيّها أيضًا.

قـال السـيّد اليزدي : «يجب سـتر المرأة تمـام بدنها عمّن عـدا الزوج والمحارم، إلاّ الوجه والكفّين

مع عدم التلذُّذ والريبة، وأمّا معهما فيجب السَّتْرْ»[1].

كما أنّه يوجد تبايـن في آراء الفقهاء فيما يخصّ الزينة الظاهرة المذكورة في آية الحجاب من سورة النور:

-فمنهـم من حـرّم إظهار الزينة أمام الأجانب مطلقًا، أي لم يسـتثنِ منها شيئًا، كالسيّد الخوئيّ (ره).

قال السـيّد الخوئيّ: «لا بأس في زينة المرأة في نفسها، نعم لا يجوز لها أن تتزيّن وتبرز زينتها لغير المحارم من الرجال»[2].

● ومنهم من اسـتثنى من الحرمة في مسألة الزينة الظاهرة بعض الأمور، كالكحل والخاتم على سـبيل المثال، ومنهم الشـيخ جواد التبريزي (ره)، والسيّد السيستانيّ حفظه اللّه ,تعالى،.

قـال الميرزا التبريزي: «لا يجب على المرأة سـتر الخاتم المتعارف عند النساء، وكذا الكحل المتعارف عند العجائز وما يقرب منهنّ»[3].

1 - السيد اليزدي، العروة الوثقى، ج2، ص317

2 - الميرزا التبريزي والسيد الخوئي، صراط النجاة، ج1، ص324

3 - الميرزا التبريزي والسيد الخوئي، صراط النجاة، ج1، ص324

● **ثانيًا: فقهاء أهل السنّة**

تنقسم الآراء الفقهيّة لدى أهل السنّة إلى أربعة مذاهب، وهي المذهب الحنفيّ، والمالكيّ، والشافعيّ، والحنبليّ.

وقد اتّفق الفقهاء السنّة على وجوب ستر زينة المرأة الظاهرة عن الأجانب، لكن اختلفوا في وجوب ستر الوجه والكفّين، فذهب الإمام أحمد بن حنبل والإمام الشافعيّ إلى وجوب ستر كامل بدن المرأة بما يشمل الوجه والكفّين، أمّا أبو حنيفة ومالك فقد ذهبوا إلى عدم وجوب ستر الوجه والكفّين، بل استحباب سترهما. وكما هو الأمر لدى الفقهاء الشيعة، أجمع الفقهاء السنّة على وجوب ستر كامل البدن مع الوجه والكفّين عند وجود ناظر بتلذّذ وفتنة وخوف الوقوع في الحرام.

● **ثالثًا: زكاة الجمال العفاف**

وتجدر الإشارة إلى أنّ التشريع الإلهيّ الذي يحتّم على المرأة ستر جسدها أمام الأجانب، لا يعارض ولا ينازع الطبيعة الفطريّة للمرأة الميّالة نحو حبّ التجمّل والتزيّن، لأنّها كما ذكر السيّد الخوئيّ (ره) سابقًا «لا بأس في زينة المرأة في نفسها»، إلّا أنّه نظّم هذه الغريزة الفطريّة، على نحوٍ يحمي المرأة من أنظار وأيادي الفاسقين، ويحمي الرجال من الوقوع في الفتنة التي قد تؤدّي إلى فعل الحرام، انطلاقًا من إرادة بناء مجتمع طاهر وعفيف.

عن أمير المؤمنين علي, عليه السلام: «زكاة الجمال العفاف»[1].

1 - الريشهري، ميزان الحكمة، ج3، ص2006.

فالتشريع الإلهيّ ترك للمرأة حريّة التزيّن والتجمّل أمام النساء، أو نساء المؤمنين -حسب بعض الآراء-، وحثّها على وجوب التزيّن والتجمّل لبعلها، بهدف جذب قلبه إليها واستحضار شهوته نحوها ممّا يقوّي الرابطة العاطفيّة بينهما، ويؤدّي بالتالي إلى نجاح العلاقة الزوجيّة وحفظ قيمة العفاف، بحيث لا ينظر الرجل إلى الأجنبيّات لأنّ غريزته الجنسيّة أشْبعتْ في المكان الذي حلّله اللّه ,تعالى، وهو الزواج، كما أنّ المرأة لا تحاول إبراز جمالها وزينتها أمام الأجانب، لأنّ غريزة حبّ إظهار الجمال قد أشْبعتْ في علاقتها مع بعلها. والأحاديث الواردة عن النبيّ (ص) وأهل بيته (ع) في هذا الخصوص واضحة وكثيرة، نذكر منها:

عن رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله قال: «إنّ خير نسائكم ... المُتبرِّجَة مع زوجها الحَصَان على غيره ...»[1].

وعن الإمام الصادق (عليه السلام): «لا غنى بالزوجة فيما بينها وبين زوجها الموافق لها عن ثلاث خصال، وهنّ: صيانة نفسها عن كلّ دنس حتى يطمئن قلبه إلى الثقة بها في حال المحبوب والمكروه، وحياطته ليكون ذلك عاطفًا عليها عند زلّة تكون منها، وإظهار العشق له بالخِلابة [القول الطيّب]، والهيئة الحسنة لها في عينه»[2].

1 - الكليني، الكافي، كتاب النكاح، باب خير النساء، ح2

2 - ابن شعبة الحراني، تحف العقول، ص323

المبحث الثاني:
السّفور المُقنَّع والحجاب المودرن

في المباحث المتقدّمة، قمنا بتسليط الضوء على محاربة الحجاب من خلال سنّ القوانين والعقوبات وغيرها من الأساليب التي تعدّ صارمة نوعًا ما، إلّا أنّ الحرب على الحجاب تتخذ أشكالاً وأساليبًا متعدّدة، نركّز في هذا المبحث على الحرب الناعمة التي أدّت إلى ظهور نوعٍ من الحجاب يستر شعر المرأة، إلّا أنّه يبرز مفاتنها على نحو أو آخر، وهذا ما يمكننا أن نطلق عليه «السفور المقنّع».

لقد سعى الغرب من خلال أدواته المتكثّرة إلى القضاء على فلسفة الحجاب الإسلاميّ، الذي يُعدُّ المظهر الأسمى من مظاهر قيمة العفَّة، وجَعْلِه لباسًا تقليديًّا ترتديه المرأة المسلمة.

من أبرز أدوات الغرب هو استحواذه على ما يسمّى «عالم الموضة»، حيث عمل من خلال العلامات التجاريّة العالميّة المختصّة بالألبسة أن يطلق مجموعات من الأزياء التي يمكن للمحجّبة ارتداؤها -حسب زعمه-، مبديًا تطلّعه لمجاراة المرأة المحجَّبة وجعلها تندمج مع الموضة وصيحاتها.

إنّ الأدوات الإعلانيّة التي اُسْتُخْدمت، تملك تأثيراً كبيراً على عقول النساء وقلوبهن، إذ استمالهنّ من خلال الاستعانة بعارضات أزياء يرتدين قطعة من القماش على شعورهنّ. فبعد أن كانت البانويات والدعايات التي

تستخدمها العلامات التجاريّة للألبسة مقتصرة على تلك الفتاة السافرة التي تعرض جسدها بشكلٍ علنيّ وفاضح، بدأت تلك الشركات تستخدم عارضات الأزياء اللّواتي تظهرهنّ بصورةٍ محتشمة نوعًا ما، بهدف استمالة المرأة المحجَّبة التي بدأت تشعر بأنّها المُستهلك المُستهدَف من تلك الدعايات، وشرعت بالالتفات لها أوّلًا، ومن ثمّ التفاعل معها إيجابيًّا، وأخيراً وجدت نفسها تمتلك رغبةً في الاندماج مع ذلك المجتمع الذي تحكمه معايير الموضة والأزياء.

وفي هذا السياق أجرت القناة الألمانيّة «DW» تحقيقًا، تحت عنوان «الحجاب المودرن يعانق الموضة ويتماشى مع الالتزام الدينيّ»، جاء فيه: «لم يعد عالم الأناقة والموضة حكرًا على فئة معيّنة من النساء فقط، بل بات بإمكان المحجّبات أيضًا الدخول إلى «صندوق الفرجة» هذا، والتبضع بشتّى أشكاله وألوانه. وبعد أن كانت الموضة والحجاب تُعَدُّان خطّين متوازيين لا يلتقيان ويتنافر كلٌّ منهما من الآخر، أصبحت المحجّبات تجدن ضالتهنّ في عالم الأناقة والزينة»[1].

وتوسّعت القناة كذلك في تحقيقها حيث أخذت شهادة إحدى الفتيات اللّواتي يرتدين «الحجاب المودرن»، فجاء في التحقيق: «تبدو وفاء، الطالبة الجامعيّة المحجَّبة، مُخلِصة لآخر صيحات الموضة، ففي كلّ يوم تذهب فيه إلى الجامعة، تتبارى مع صديقاتها غير المحجّبات على ارتداء كلّ جديد في عالم الموضة. وهنّ بدورهنّ ينبهرن من قدرتها على مجاراة

1 - «الحجاب المودرن» يعانق الموضة ويتماشى مع الالتزام الديني – 2011 – 16/9/DW

اللّباس العصريّ من دون أن يُسبِّب الحجاب عائقًا لها. تصف وفاء نفسها بأنّهـا مـن جيلٍ جديدٍ منفتحٍ يريـد مجاراة بيئته الضيقـة، وفي الوقت ذاته الانسجام مع المجتمع الأكبر. وحجتها واضحة في هذا الإطار، فهي ترتاد إحـدى الجامعـات الأجنبيّة المرموقة في لبنان، وتقـول: «لا أريد أن أبدو كأنيّ آتية من الفضاء الخارجي»، خاصّة أنّ نسبة الطالبات المحجّبات في الجامعة تُعَـدُّ ضئيلة مقارنة مع غير المحجّبـات. والحلّ برأيها يكمن في مجاراتها للمشـهد العـام بلا أن يؤثّر ذلك على حشـمتها، «سروال جينز، وقميـص صيفـيّ بألوان فرحـة، لن يحدّ مـن قناعاتي أو التزامـي بارتداء الحجاب»[1].

أمّـا ظاهـرة المؤثّـرات «Influencers» المنتشرة على مواقـع التواصل الاجتماعـيّ، فكان لها حجم التأثير نفسـه على الفتـاة المحجَّبة، إذْ ظهر في الآونـة الأخـيرة العديد مـن المؤثّرات اللّـواتي يرتدين هـذا النوع من الحجاب، وغالبًا ما يرتدين ما يسـمّى بال»توربان»، وهو غطاء رأس يشبه العمامـة يَظهر منه جزءٌ من الشَّـعر، بالإضافـة إلى العنق والأذنين. تعرض تلك المؤثّرات أنواعًا وأشـكالاً عديدة من الألبسة التي تحمل اسم إحدى العلامـات التجاريّة العالميّة، مبرزةً مفاتنها وشـكل جسـدها من دون أيّ التفـات إلى أحـكام الحجاب وضوابطه الشرعيّة، فضلاً عن عرض شـتّى أنواع مسـتحضرات التجميل كأحمر الشفاه، والمسكارا وغيرها، بالإضافة إلى المجوهرات أو الإكسسوارات كالحليّ والقلائد و...إلخ.

1 - «الحجاب المودرن» يعانق الموضة ويتماشى مع الالتزام الديني – 2011 – 16/9/DW

هــذا المحتوى الذي يســتهدف الفتيات المحجّبات، يريــد أن يجذبهنّ ويشعرهنّ برغبة محاكاة وتقليد هذه المؤثّرة أو تلك، فتبدأ الفتاة المحجَّبة بالســعي وراء عجلة الموضة، بهدف الشعور بأنّها عصريّة وتحاكي أقرانها مــن الفتيــات العصريّات اللّواتي يظهــرن بمظهرٍ جذّابٍ يلفــت أنظار من حولهنّ.

هــذه العوامل وغيرها، أدّت إلى ظهــور هذا النوع من الحجاب الذي لا يحترم الضوابط الشرعيّة ويرقى إلى ما يسمّى بالسفور المقنّع، وبالتالي إلى تفريغ الحجاب من فلســفته الإســلاميّة التي شُرّعَ من أجلها، وهي إخفاء محاســن ومفاتن المرأة المســلمة، بغيــة حمايتها من النظــرات المحرّمة، وحماية المجتمع من الوقوع في المفاسد والرذائل. فأين العفَّة في أن تبرز المــرأة جميع مفاتنها، بل وتتزيّــن وتتبرّج، ولكن مع غطــاء رأسٍ غالبًا ما يكشف جزءًا من شعرها؟!

المبحث الثالث:

العفاف في أسلوب الحياة
(النظر، اللّمس، الحديث، المشي...)

تمهيد

تعدّ قيمة العفاف من القيم الأساسيّة في الإسلام، التي تسهم على نحوٍ كبيرٍ في بناء مجتمعٍ إسلاميٍّ عفيفٍ وطاهرٍ. لذا، ركّزت الشريعة الإسلاميّة على هذه القيمة على نحوٍ ملحوظ، كما سبق وبيّنا في المباحث والفصول السابقة. لكنّ الإسلام ومن أجل تهيئة بيئة اجتماعيَّة عفيفة لم يكتفِ بفرض الحجاب بمعنى السَّتْر البدنيّ، بل توسّع لينظّم شتّى أنحاء الحياة الاجتماعيَّة للفرد المسلم بما يضمن الحفاظ على تلك القيمة باتّخاذ مجموعة من التدابير الاحترازيّة والوقائيّة.

لا شكّ في أنّ الإنسان كائن اجتماعيّ بالفطرة أو بالاستخدام أي يحتاج إلى الآخرين لتأمين حاجاته ومتطلباته، فإنّ الناس لا بدّ لبعضهم من بعض على حدّ تعبير الإمام الصادق عليه السلام حيث يقول: «إنّه لا بدَّ لكم من الناس، إنّ أحدًا لا يستغني عن الناس حياته، والناس لا بدّ لبعضهم من بعض»[1]، وهذا يحتّم على الناس من ذكر أو أنثى التواصل مع بعضهم بعضًا، سواء أكان في الشوارع، أو الأسواق، أو المؤسسات التعليميّة

1 - الكليني، الكافي، ج2، ص635.

والجامعات أو أماكن العمل، أو الدوائر الرسميّة والحكوميّة... إلخ، وإن كان الأصل الأخلاقيّ في الإسلام هو تجنّب اختلاط النساء بالرّجال إجمالاً، كما ورد عن سيدة نساء العالمين عليه السلام: «خير للنساء أن لا يرين الرجال ولا يراهنّ الرجال»[1]، ويمكن أن نستشعر من القرآن الكريم أنّ الملاك لذلك هو الحفاظ على طهارة القلب، حيث قال ,تعالى,: (إِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ﴿**ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ**﴾[2]، فهذه الآية وإن كانت خاصّة بنساء النبيّ (ص) إلاّ أنّه قد يقال: إنّ خصوص المورد لا يقيِّد عموم الوارد، وإن تجاوزنا ذلك، ففي الحدّ الأدنى توضح الملاك والحكمة من الحكم والذي يشمل بطريق أولى باقي نساء المؤمنين.

● أوّلًا: ضوابط العفَّة في المجتمع الإيمانيِّ

ولذا، جعل الإسلام الاختلاط مقيّدًا ومنظّمًا بضوابط تحفظ قيمة العفَّة في المجتمع الإيمانيّ، ومن أبرز هذه الضوابط:

أ. غضّ البصر:

فقد أمر اللّه ,تعالى, المؤمنين والمؤمنات بغضّ أبصارهم، فقال: (**قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ**) ، (**وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ**

1 - الحرّ العاملي، وسائل الشيعة، ج20، ص67.
2 - سورة الأحزاب، الآية: 53.

أَبْصَارِهِنَّ)[1]، وغضّ البصر يعني عدم التحديق والإمعان في الشيء، وقد أوضحت الآيـة القرآنيَّة الأولى الحكمة من ذلك حيث جـاء: (**ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ**)، فهذا التشريع يهدف إلى الحفاظ على زكاة النفس وطهارة القلب.

وقد ورد العديد من الأحاديث عن النبيّ (ص) وأهل بيته عليهم السـلام التي ركّزت بشـكلٍ واضحٍ على فضيلة غضّ البصر، فعن الرسـول الأكرم (ص): «النَّظرة سـهمٌ مسـمومٌ من سـهام إبليس، فمن تركها خوفاً من اللّه أعطاه اللّه إيماناً، يجد حلاوته في قلبه»[2].

وعـن الإمام الصـادق, عليه السـلام: «ما اعتصم أحد بمثـل ما اعتصم بغـضِّ البصر، فإنَّ البصر لا يغضُّ عن محارم اللّه، إلاَّ وقد سـبق إلى قلبه مشاهدة العظمة والجلال»[3].

فهـذان الحديثان يؤكّدان الفكرة التي تقدّم منّا ذكرها، وهي أنّ غضّ البصر يحافظ على طهارة القلب والروح حتى يجد الإنسان حلاوة أثر ذلك في قلبه.

ب. عدم الخضوع بالقول:

بمعنى طريقة الكلام المبتذلة والتي يتضمنّها شيئًا من الميوعة، والخوض في أحاديث غير ملائمة، قال اللّه, عزّ وجلّ: (**فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِى فِى قَلْبِهِ مَرَض وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا**)[4].

1 - سورة النور، الآية: 31.
2 - الميرزا النوري، مستدرك الوسائل، ج14، ص271.
3 - المجلسي، بحار الأنوار، ج101، ص14.
4 - سورة الأحزاب، الآية: 32.

ت. تجنّب المزاح والضحك:

من واجب الرجل والمرأة المسلمة الابتعاد عن المفاكهة أو تبادل النكات، أو الخوض في أحاديث غير لازمة، من شأنها أن تجرّهما إلى الوقوع في الحرام.

ث. المشي على استحياء:

من واجب المرأة المسلمة الالتفات إلى طريقة مشيها، بحيث تحافظ على قيمة العفَّة والحياء، قال تعالى واصفًا ابنة شعيب: ﴿**فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ**﴾[1]. كذلك يجب أن تلتفت إلى عدم إبراز شيءٍ من زينتها المخفيّة من خلال طريقة مشيها، كطريقة المشي التي تصدر صوتًا للخلخال على سبيل المثال، جاء في كتاب اللّه, عزّ وجلّ: ﴿**وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ**﴾[2].

ج. عدم المصافحة واللّمس:

يحرم أي شكل من أشكال الاحتكاك الجسديّ بين الجنسين، ومنها المصافحة، أو التقبيل، أو المعانقة...، فقد ورد في بعض الروايات أنّه من صافح امرأة حرامًا جاء يوم القيامة مغلولاً ثم يُؤمَر به إلى النّار[3]، وعن

1 - سورة القصص، الآية: 25.
2 - سورة النور، الآية: 31.
3 - الصدوق، ثواب الأعمال وعقاب الأعمال، ص283

رسـول اللّه (صلى اللّه عليه و آله): «مَنْ صَافَحَ امْرَأَةً تَحْرُمُ عَلَيْهِ ، فَقَدْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ...»[1].

● ثانيًا: الواقع الاجتماعي والتحرّر من ضوابط العفَّة

لكن في المقابل، إذا نظرنا إلى الواقع الاجتماعيّ للمسـلمين، في الآونة الأخيرة، يمكننا ملاحظة انحسـار قيمة العفَّة، حيث لم يعد لهذه الضوابط الشرعيّة -للعلاقة بين الرجل والمرأة- مكانًا في حياة معظم شـبابنا. فتحوّل الزميل في العمل أو الزميل الجامعيّ إلى صديقٍ مقرّب، تتشارك معه الفتاة أخبارهـا ويومياتها من خـلال المحادثة عبر الهاتف أو وسـائل التواصل الاجتماعيّ التي سـهّلت ومهّدت الطريق نحو الفسـاد، وهذا ليس حكرًا على الفتيات غير ذوات البعل، بل حتى بعض النسـاء المتزوّجات انجرفن مع تيّار التواصل المحرّم، وبالتالي العلاقات المحرّمة وصولاً إلى الفاحشة والزنا -معاذ الله-.

أ. الجلوس على الطرقات والتحرّش بالفتيات

ومن شـديد أسـف أنّه ثمة ظاهرة خطيرة أيضًا أخذت تنتشر وتتوسع في أحيائنا، وهي جلوس بعض الشباب على جوانب الطرقات وفي المقاهي، بحيث تطمح أنظارهم إلى أجساد النساء المارّات على الطريق، وقد تشدّد المنهاج النبويّ في مكافحة هذه الظاهرة، حيث اعتبر النبيّ صلى اللّه عليه

1 - الصدوق، من لا يحضره الفقيه، ج4، ص14

وآله وسلّم أنّه من آداب الجلوس على الطرقات غضّ النظر عن المسلمات والمؤمنات.

فعن أبي سعيد الخدري رضي اللّه عنه، عن النبي, صلى اللّه عليه وآله سلم, قال: «إياكم والجلوس في الطرقات».

قالوا: ما لنا بدٌّ، إنّما هي مجالسنا نتحدث فيها.

قال صلى اللّه عليه وآله وسلّم: «فإذا أبيتم إلاّ المجالس، فأعطوا الطريق حقّها».

قالوا: وما حقّ الطريق؟

قال صلى اللّه عليه وآله وسلّم: «غضُّ البصر، وكفُّ الأذى، وردّ السلام، وأمر بالمعروف، ونهي عن المنكر»[1].

بل والأقبح من ذلك، هو ظاهرة التحرّش بالنساء في الشوارع، حيث جاء في تقرير الإحصاء الذي يدرس نسبة التحرّش في العالم العربيّ لعام 2022، الذي أجرته الشبكة البحثيّة التي تحمل اسم «الباروميتر العربي»: بلغت نسبة التحرّش في مصر44 %، تليها السودان بنسبة 38 %، ومن ثمّ تونس بنسبة 28 %.... وهكذا لا تخلو دولة عربيّة أو إسلاميّة من ظاهرة التحرّش.

وفي هذا السياق، نلاحظ أنّ الإسلام قد أدّب شبابه على غض البصر، وعدم النظر إلى أجساد النساء، من خلال التنبيه إلى سنّة طبيعيّة، تقضي برجوع الفعل الصادر عن الإنسان عليه، على مبدأ كما تدين تدان، فهل

1 - أبو داود، صحيح أبي داود، حديث رقم: 4815

يرضى الإنسان الذي ينظر إلى أجساد النساء الأخريات أن يُنظَر إلى نسائه وأخواته وبناته؟!!

عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «ما يأمن الذين ينظرون في أدبار النساء أن ينظر بذلك في نسائهم»[1].

ب. الاختلاط في الأسواق

كما نلاحظ أيضًا ظاهرة أخرى في أسواق المسلمين، وهي الاختلاط الذي فيه نوع من المزاحمة والاحتكاك بين الجنسين، وهي عادة سيّئة تخلّ في مكان ما بالعفَّة الاجتماعيَّة، ولذلك نلاحظ أنّ الإسلام أوصى المرأة بألاَّ تمشي في وسط الطريق، بل أن تمشي على جوانبه، حفاظًا عليها من الاحتكاك مع الرجال.

عن رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلّم): «ليس للنساء من سروات الطريق [أي وسط الطريق] شيء، ولكنها تمشي في جانب الحائط والطريق»[2].

وهنا تجدر الإشارة، إلى مسألة مهمّة جدًّا، وهي ضرورة أن يسعى الرجل المؤمن الّذي لديه غيرة على عرضه وزوجته وبناته، إلى الخروج بدلاً عنهنَّ للتبضّع وشراء الحاجات، أو على أقلّ تقدير مرافقتهنَّ عند إرادتهنَّ الخروج إلى الأسواق، فإنّه بذلك يحافظ عليهنّ ويشعرهن بأنّه يظلّلهنّ بحمايته.

1 - الحرّ العاملي، وسائل الشيعة، ج20، ص200
2 - الحرّ العاملي، وسائل الشيعة، ج20، ص184

فقد قال أمير المؤمنين, عليه السلام في زمن حكومته، مخاطبًا أهل العراق: «يا أهل العراق نُبِّئت أن نساءكم يدافعن الرجال في الطريق أما تستحيون؟»[1].

وفي حديث آخر: « ولا تغارون».

ت. المصافحة تحت شعار براءة النيّة والحرِّيَّة

وفيما يخصّ ظاهرة المصافحة نرى أنّ بعض المسلمين والمسلمات وتحت شعار الصداقة أو براءة النيّة أو الشعور بالاستغراب الاجتماعيّ أو التقدّم والحرِّيَّة، أو أنّه نوع من الإساءة للمرأة والاحتقار لها... يقوم بالمصافحة أو غيرها من الأمور المحرّمة. هذا مع أنّ عدم المصافحة هو الذي يحفظ كرامة المرأة وعفّتها وحياءها لا العكس.

أمّا الشعور بالحرج الاجتماعيّ بمعنى أنّ عدم المصافحة يؤدّي إلى استغراب الآخرين من هذا السلوك، أو ينعكس سلبًا على نظرته إلى الممتنع عن المصافحة، فهي ليست مُبرِّرات شرعيّة لارتكاب الحرام. بل قد شاهدنا بالعين وسمعنا من الثقات أنّهم مرّوا بتجربة إيجابيّة في هذا المجال، فعندما لا يصافحون ويضعون أيديهم على صدورهم مثلاً مع الانحناء قليلاً بالرأس ترحيبًا بالآخر، ويشرحون لهم أسباب الامتناع عن المصافحة أنّه من باب احترام تعاليم الدين الذي ينتمي إليه الشخص الممتنع، وأنّه فيه احترام للآخر، لأنّ الإسلام يمنع أيّ نوع احتكاك بين

1 - الكليني، الكافي، ج5، ص537

الرجـل والمرأة إلاّ في إطار الزواج القانوني حفاظًا على طهارة العلاقة بين الزوجـين وميثـاق الحبّ بينهما، فإنّ الآخر حينها لا يبدي الاسـتغراب أو النظرة السلبية، بل يتفهّم وينظر بإيجابيّة إلى المسألة.

الاضطرار إلى المصافحة- نموذج من المدارس السويسريّة

نعـم، قد يضطّر الإنسـان أحيانًـا وفي حالات نادرة جـدًّا، بحيث يوقعه الامتناع عن المصافحة بالحرج الشديد الّذي لا يتحمّل عادة، أو قد يؤدّي إلى طـرده مـن العمل أو الحرمان من فرصة الدراسـة أحيانًا ، فهنا شرّع له الإسـلام التخلّص من هذا الحـرج والضرر بالمصافحـة بارتداء الكفوف أو نحوهـا، وإن لم يمكنّه ذلك جازت لـه المصافحة بما يدفع عنه الضرر ويرفع عنه الحرج.

ومـن باب المثـال على ذلك، هناك تقليد في المدارس السـويسريّة يعدُّ مصافحـة المعلّمـين علامة احترام، وقـد أكدت هيئة محليّة في سـويسرا أنّه يجب على الطلبة المسـلمين مصافحـة المعلّمين قبل انتهاء الحصص الدراسـيّة وبعدهـا. وقد امتنع طالبان عن المصافحـة وطلبا إعفاءهما من ذلك؛ لأنّ الإسـلام يحـرّم المصافحـة، وقد تـمّ تهديدهما بأنّـه قد يغرم والداهما، بحسـب قـرار الهيئة المحليّـة، لأنّ المعلمـين «لديهم الحق» في مصافحـة الطلبة. وقد وصلت القضيـة إلى درجة تصريح وزيرة العدل السويسريّة حينئذٍ (سيمونيتا سوماروغا)، في لقاء تلفزيوني بأنّ «المصافحة باليد جزء من ثقافتنا».

وتفاعلت المسـألة إلى أنّ أوقف مكتـب الهجرة في بازل عملية حصول عائلة التلميذين على الجنسية السويسرية، وبعد أن استحوذت القضية على

اهتمام وسائل الإعلام السويسرية، توجهت المدرسة للسلطات المحلية لتسويتها. وقالت السلطات في بيان لها الأربعاء: «إن المصلحة العامة، فيما يتعلق بالمساواة بين الجنسين وكذلك اندماج الأجانب، تفوق إلى حد بعيد ما يتعلق بحرية معتقدات التلاميذ». وفي المستقبل قد يواجه آباء التلاميذ أو أولياء أمورهم في مقاطعة بازل غرامات مالية، تصل إلى خمسة آلاف دولار، إذا رفض التلاميذ مصافحة معلميهم[1].

1 - https://www.bbc.com/arabic/worldnews/2016160525/05/_switzerland_muslim_students

الفصل الرابع:

العفاف وبعض التحدِّيات المعاصرة

المبحث الأوّل:
العفاف والطَّبابة والتَّمريض

● أوّلًا: العفاف والعلاج عند الطبيب

إنّ الإنسان -من ذكر وأنثى- معرَّض في حياته لمجموعة من الأمراض التي قد تصيبه، ويمثّل موضوع الطبابة والتمريض تحدّيًا مُهمًّا في حياة الإنسان المسلم وخصوصًا المرأة، حيث لا بدّ له من اللجوء إلى العلاج في حال مرضه أو أيّ تهديد على صحّته. ولكن وجود المرض في حدِّ ذاته ليس مُبرِّرًا كافيًّا لتجاوز الضوابط الشرعيّة، التي حدّدها الإسلام فيما يتعلّق بالعلاقات بين الجنسين، والتي ذكرنا بعضها سابقًا؛ كالنظر واللّمس المحرَّمين، فإنّ الإسلام حرص على الحفاظ على العفَّة والحياء حتى حال تعرّض صحّة الإنسان إلى الخطر والضّرر.

وقد انتشرت في الآونة الأخيرة ظاهرة لجوء المرأة المسلمة إلى الطبيب، وكذلك كثرت ظاهرة وجود الممرّضات في المستشفيات، مما قد يؤدّي بطبيعة الحال إلى الاحتكاك الجسديّ بينها وبين المريض، من هنا، لا بدّ لنا أن نبيّن الضوابط الشرعيّة في هذا المجال، التي توائم بين العلاج من المرض والحفاظ على العفَّة الاجتماعيَّة.

النقطة الأولى التي ينبغي أن تلتفت إليها المرأة المسلمة أنّها في حال تعرّضها لأيّ عارض أو خطر صحّي، يجب عليها أوّلًا البحث عن طبيبة أنثى ترافقها في رحلة العلاج، حتى لو لم يستلزم علاجها أيّ مخالفة

للضوابـط الشرعيّة كاللّمس والنّظر المحرّمـين، فإنّ عملية احتكاك المرأة بالطبيـب التي يرافقها غالبًا الخلوة به في غرفـة العلاج هي بحدّ ذاتها أمرٌ غير مستحسـن للمرأة المسلمة، فاللّجوء إلى الطبيب ينبغي أن يكون حالة اسـتثنائية في حياة المرأة المسـلمة، إذا تعسّر إيجاد طبيبة لمتابعة حالتها، واليأس من ذلك، أو حصول مشـقّة لا تحتمل في إيجادها أو وجود ضرر مالي بالغ من ذلك، فتلجأ إلى الطبيب.

في هذا السياق، يقول السيّد السيستانيّ, دام ظلّه: « في حال وجود طبيبة يمُكـن للمرأة مراجعتها، فـلا يجوز قصد الطّبيـب، إلاّ إذا كلَّفت مراجعة الطّبيبة مبالغ ماليّة مُضِرَّة بحال المرأة المريضة»[1].

ولهـذا الاضطّـرار أحـكام تضبطه أيضًا، فلا يجوز كشـف سـتر المرأة عـلى الطبيب المعالج إلاّ بالقـدر المطلوب، فعلى سـبيل المثال إذا كان المرض في ركبتها، فلا يجوز لها التسـاهل والتسـامح تحت شعار الحرج الاجتماعيّ من الطبيب كشـف كامل ساقها، بل عليها الحفاظ على العفَّة والحيـاء والضوابط الشرعيّة والاكتفاء بكشـف موضع المرض أو الجرح. وإذا كان موضع المرض أو الجرح بحاجة إلى المعاينة اللّمسيّة، فلا يجوز اللّمس من غير حاجب كالقفاز على سـبيل المثـال. كما يتجنّب الطبيب النظر المباشر إذا أمكنه العلاج باللّجوء إلى النظر عبر الشاشـة أو المرآة أو غيرها من الوسائل.

هـذه الأحكام تنطبق عـلى التمريض كـما تنطبق على الطبابة، يقول السـيّد

1 - https://www.sistani.org/arabic/qa/02124/

السيستانيّ, حفظه اللّه, في هذا المجال: «يقوم المُمرِّض في المستشفيات بجسّ النبـض وقياس ضغط الدَّم وتضميد الجرح وغـير ذلك، فيجب على المرأة أن تطلـب قيام أحد الممرِّضـات بالأعمال المذكورة، أو تطلـب من المُمرِّض أن يلبس قفازاً أو يضع حاجزاً كالمنديل، ليحول ذلك دون لمس جسدها»[1].

● ثانيًا: العفاف وعمليّات الجراحة التجميليّة

ذكرنـا في المباحث السـابقة أنّ اللّه ,تعالى، خلق المـرأة بطبيعتها تميل إلى الجمال والتزيّن والتجمّل وتحسـين صورتها ومظهرها أمام الآخرين، وقد لفت القرآن الكريم إلى هذه المسـألة في قوله ,تعالى،: ﴿**أَوَمَن يُنَشَّأُ فِي ٱلْحِلْيَـةِ**﴾[2]، فالمرأة كائن عاطفيّ، «ومـن أوضح مظاهر قوّة عواطفها تعلّقها الشـديد بالحلية والزينة»[3]، وقد انتشرت في عصرنا الحاضر ظاهرة لجوء النسـاء إلى عمليّات التجميل، للحصول على جسـم رشيق، أو أنف جميل أو شـفاه مميّـزة، أو أثداء كبيرة، أو تخطيـط الحواجب، أو تجميل الأعضاء التناسلية بعد الحمل والولادة... إلخ من الحالات.

ولا شـكّ في أنّ عمليـات التجميل تلعب دورًا مهمًّا بالنسـبة للمرأة بل الإنسـان مطلقًا من نواحي متعدّدة، منهـا: أنّها قدّمت حلاًّ وعلاجًا لبعض العقـد التي قد تعيشـها المـرأة تجاه مـا يصيبها من حـروق أو جروح أو تشوّهات خلقيّة، أو تغيّر الملامح مع تقدّم السنّ.

1 - https://almojib.com/ar/question/6259

2 - سورة الزخرف، الآية: 20.

3 - الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج18، ص90.

لكـن، تجاوزت عمليّات التجميل حالة العلاج الجسـديّ أو تحسـين الجمال، إلى أن تصبح هوسًا ومرضًا بما يُسمّى بالـ «نيو لوك». وأصبحت هناك شركات تجاريّة كبرى تستثمر في جسد المرأة، وتمارس عليها سطوة الدعايـة والإعلان للإقنـاع بهذه العمليّة أو تلك، فأصبحت بعض النسـاء يلجـأن إلى عمليّـات التجميل حتى لـو لم يكن بهنّ أي عيـب خلقيّ أو جـماليّ، فقط لمجرد التقليـد أو المحاكاة لهذه الفنانـة أو تلك الموديل، أو مـن باب الغَيْرة من صديقتهـا، أو التأثّر بالموجة العامّة لمنطق الموضة ومعايير الجمال العصريّة، إلى درجة نشهد معها حالة من النسخ المتشابهة من النسـاء، هـذه المعايير التي قد تتغيّر بين ليلـة وضحاها، تجعل المرأة تسـعى إلى إجـراء عمليّة تجميل أخـرى لأنفها مثلاً بعد فـترة قصيرة من إجرائها لعمليّة تجميل سابقة له.

عـلى المرأة أن تكون واثقة من نفسـها، ومتصالحة مع مظهرها وجمالها وتتقبّـل ذاتهـا، ولا تعبـث بخلقتهـا، ويكون هاجسـها هو مجـرد إجراء عمليّات التجميل لأسـباب غير علاجيّـة أو تجميليّة محضة، بل لأجل أن تقارن بفلانة أو فلانة، أو لترضي رغبات هذا الرجل أو ذاك. كما أنّه يجب عليها أن تكـون بصيرة واعية بحيث لا تخضع لمنطق معايير الجمال التي يفرضها المسـتثمرون في جسـد المرأة لجني الأربـاح الطائلة، والتي هي معايير وهميّة متغيّرة غير ثابتة.

الضوابط الشرعيَّة للجراحة التجميليّة

وبالانتقال إلى الضوابط الشرعيّة للجراحة التجميليّة بما يضمن الحفاظ

على العفَّة والحياء وعدم كشف المرأة المسلمة لسترها أمام الأجنبيّ حتى لـو كان طبيبًـا، يجب الالتفات إلى جـواز إجراء العمليّـات التجميليّة إن كان بقصـد التجمّل المحـض أو بهدف إصلاح التشـوّهات أو غيرها من المشكلات الصحيّة. لكن، يجب على المرأة اللّجوء إلى الطبيبة الأنثى في حال كان موضع العمليّة الجراحيّة في الجسـد أو الأماكن الواجب سترها. أمّا في حال الجراحة في الوجه على سبيل المثال يجوز للمرأة اللّجوء إلى الطبيب الرجل، إذا كانت العمليّة لا تستلزم كشف ما عدا الوجه من رأسها، ولا لمس بدنها من غير حائل.

يقول السـيّد السيسـتانيّ, حفظه اللّه: «لا يجوز أن يكون المُباشِر أجنبيًّا إذا كان مُسـتلزِمًا للّمس أو النّظر المُحرَّمَين، إلّا إذا كان ترك العمليّة مُوجِبًا للوقوع في العسر والحرج الشديدَيْن، فمثلاً، إذا كانت سمنة المرأة مُوجِبةً لوقوعها في المرض الشَّـديد أو الحرج الشَّـديد الذي لا يُتحمَّل عادة كما لو اضطرت لرفع تشـوّه مثـلاً، جاز لها أن تراجِع الطّبيـب الرَّجل مع عدم إمكانية مراجعة الطبيبة أو إذا كان أرفق بعلاجها، فيجوز له النظر أو اللّمس بالمقدار الذي يتوقف عليه معالجتها»[1].

وفي حال اللّجوء إلى الطبيبة الأنثى، لا يجوز إجراء العمليّات التجميليّة في مواضـع العـورة كالمهبل على سـبيل المثـال، إلّا إذا كان ترك العمليّة يؤدّي إلى حرجٍ شـديدٍ، كالمشكلات النفسيّة أو إعراض الزوج عنها أو ما إلى ذلك.

1 - https://www.sistani.org/arabic/qa/0608/

عمليات إزالة شعر جسم المرأة

وتجدر الإشـارة إلى ظاهرة أخرى متفشّية في مجتمعنا، وهي إزالة المرأة شعر جسمها بوساطة عمليّات الليزر، ومنها شعر المنطقة الحسّاسة، وهنا لا تختص حرمة الكشف بالطبيب فقط، بل تشمل أيضًا الطبيبة، فلا يجوز للمرأة المسـلمة تمكين الطّبيبـة من النّظر واللّمـس المُحرَّمَيْن لإزالته به، ويبعـد تحقّقها عادةً بالنسـبة إلى الشَّـعر النابت في (المنطقة الحسّاسـة) للتمكّن من إزالته بغير ذلك.

● خلاصة وخاتمة

والخلاصـة، بالنظر إلى واقعنـا الحاليّ، نرى أنّ ظاهـرة مراجعة الأطبّاء الذكور أصبح رائجًا، بل وأصبحت النساء يتعاملنَ مع الطبيب الرجل بكل أريحيّـة وكأنّـه واحدًا من محارمها، بحجّة القسـم القانونيّ الذي يقسـمه الطبيب عند بدء مزاولة المهنة. ولكنّ السؤال الذي يطرح نفسه هو: ما قيمة هذا القسـم القانونيّ فعليًا؟! ألا يقسـم رؤسـاء الجمهوريّات أن يحافظوا على أمن واسـتقرار ومصالح البلاد، ومن ثمّ يعيثون فسـادًا وطغيانًا فيها؟! وكم عدد الأطّباء الّذين يقيمـون علاقات مع مريضاتهم؟! فهل يبقى لهذا القسـم -الذي تحتج به النسـاء، بل وأزواجهنّ المجرّدِين من أي غيرة- أيّ قيمة؟!

وفي نهايـة المطاف، يؤدّي انتشـار هذه الظاهرة إلى هتك سـتر وحرمة المرأة، فمن الممكن للمرأة أن تتعرض لأمراض أو جروح متعدّدة ومتكثّرة، فتنكشف على عددٍ كبيرٍ من الأطّباء في مجتمعها. بل الأسوأ من ذلك، هو

كسر الحاجز النفسيّ للمرأة الذي من شـأنه أن يردعها عن كشف جسدها أمـام الأجانـب، فبفعل التكرّر الحاصـل من زيارة الأطبّـاء الرجال، تفقد المرأة شيئًا فشيئًا قيمة الحياء أو الخجل عند كشف جسدها أمام الأجانب.

المبحث الثاني:
العفاف ونشاط المرأة الاقتصاديّ

● أوّلاً: العفاف وحقّ المرأة المؤمنة في العمل

ضَمِن الإسلام حقّ المرأة في العمل خارج المنزل، خصوصًا إذا ما كان هذا العمل ضروريًّا لنفقتها على نفسها في حال عدم وجود المعيل الماديّ لها، وكذا ترك لها حريّة العمل بدون الضرورة، مع مراعاة قيمة العفَّة والحياء والضوابط الشرعيّة، ومنها السَّتْر والحجاب الشرعيّ، واجتناب الاختلاط أو الخلوة، ومراعاة حقوق الزوج، أو الوالد.

يمكن لعمل المرأة أن يشكّل فارقًا في المجتمع الإسلاميّ، فعلى سبيل المثال -وكما جاء ذكره في المبحث السابق- يمكن للمرأة أن تخدم مجتمعها من خلال دخولها في مجال الطبّ أو التمريض، مساعِدةً بذلك النساء الأخريات في إيجاد الطبيبة أو الممرّضة التي يحتجنها.

بالإضافة إلى عملها في المجال الثقافيّ أو التربويّ، حيث إنّ طبيعة المرأة التكوينيّة تمكّنها من التعامل مع الأطفال والأولاد، لذا نجد نسبة المعلّمات أكبر من نسبة المعلّمين، خصوصًا في المراحل التعليميّة الأولى، كروضات الأطفال.

● ثانيًا: ضوابط عمل المرأة

وكما في كلّ مجالات الحياة، وضع الإسلام ضوابطًا لعمل المرأة خارج

المنزل بهدف الحفاظ على عفّتها وحيائها، نذكر بعضًا منها:

- تجنّب الاختلاط بالرجال مع عدم الأمن من الوقوع في الفتنة.
- عدم وجودها في مكانٍ مغلقٍ مع أجنبيّ، أي تجنّب الخلوة.
- الحفاظ على اللّباس الشّرعيّ.
- ترك المصافحة أو أي نوع من أنواع الاحتكاك الجسديّ مع الجنس الآخر.
- ألّا يكون مجال عملها يساعد في نشر الفساد، كتزيين النساء السافرات مع علمها بسفورهنّ وأنّهن سيستخدمن تلك الزينة في الحرام.
- أن يكون عمل المرأة المتزوجة بإذن الزوج.
- أن يكون عمل المرأة العازبة لا يؤدّي إلى غضب الوالدين شفقة عليها.

ومن الواضح أنّ مجتمعاتنا، انفصلت نوعًا ما عن الضوابط الشرعيّة الإسلاميّة، فصارت المرأة تشارك في شتّى أنواع الأعمال، من دون أي مراعاة للضوابط الشرعيّة، فبدأت بتغيير لباسها بحجّة أن الحجاب الشرعيّ لا يتماشى مع طبيعة عملها أو أنّه يعيق حريّة حركتها. جاء -مثلاً- في تحقيقٍ أجرته القناة الألمانيّة «DW»: «تشرح فاتن وهي موظّفة محجّبة في إحدى الشركات، أن طبيعة عملها تتطلّب منها الأناقة خاصّةً أنّها تقابل يوميًّا عشرات الزبائن. وتقول في هذا الإطار «أنا كموظفة أُعتبر واجهة للمؤسّسة التي أعمل فيها». وتضيف: «لا يمكنني أن آتي بالحجاب الأسود أو برداءٍ طويلٍ فضفاضٍ ذي ألوانٍ موحّدة وجامدة». وتلفت إلى أنها كامرأة متزوجة في الثلاثين من عمرها، لا تريد أن تبدو كتلميذة مدرسة»[1].

1 - «الحجاب المودرن» يعانق الموضة ويتماشى مع الالتزام الديني - 2011 - 16/9/DW

ومــن المظاهر الأخــرى المنتشرة في مجال عمل المــرأة في أيّامنا هذه، وجودهــا مع زميلهــا في العمل في مكتبٍ خاصٍ ومغلــقٍ، حيث يتبادلون الأحاديــث والنكات والمفاكهة تحت شــعار «الزمالــة». ولا ننسى ظاهرة مجاراة مديرها في العمــل لحرصها على ضمان حفظ مكانتها الوظيفيّة أو عدم فقدانها.

هذه الآثار والمفاعيل الســلبيّة الناتجة عن عمل المرأة من غير ضوابط، لا بدّ أن تجري على كامل حياة المرأة، حيث تبدأ بالابتعاد عن دينها خارج إطــار العمل أيضًا، بالإضافة إلى تفلّتها من القيود والضوابط الشرعيّة التي تحفظ كرامتها وعفّتها.

المبحث الثالث:
العفاف والنشاط الثقافيّ والإعلاميّ والفنيّ

في ظلّ الانحلال الحاصل في وسائل الإعلام والسينما، إذْ يتمّ إبراز صورة المرأة على نحوٍ سطحيٍّ مناف للحياء والعفَّة، لا بدّ للمجتمعات الإسلاميّة من إيجاد بديلٍ يحاكي التطلّعات الإسلاميّة، ويراعي الشريعة، يعمل على تصدير صورة المرأة المسلمة التي ظلّلها اللّه عزّ وجلّ برداءٍ من الحياء والعفَّة من خلال الضوابط التي وضعها لها حفاظًا على كرامتها ومكانتها.

من واجب المرأة المسلمة أن تحكّم عقلها وفطرتها، ولا تنجرّ وراء الحملات الغربيّة التي تريد أن تبرز المرأة في صورةٍ تحطّ من قدرها، وتحبسها في سجن المعايير الغربيّة. بل يجب عليها أن تلتفت إلى تعاليم دينها وإلى الصورة والشأنيّة التي أرادها الإسلام للمرأة.

تلعب المرأة دورًا بارزًا في المجال الثقافيّ والفنيّ، وهو دورٌ حسّاس نوعًا ما، إذْ إنّ الصورة المعتادة للفنانة أو الإعلاميّة في أذهان الجماهير، هي صورة المرأة السافرة المتبرّجة، التي تلعب على أوتار صوتها بحيث يصبح صوتها ناعمًا وفيه شيئًا من الميوعة. وهنا تقع المسؤوليّة الكبيرة على عاتق الفنانة أو الإعلاميّة المسلمة، التي من المفترض أن تسعى إلى تغيير تلك الصورة النمطيّة لدى الجماهير.

وفي تفصيل المجال الفنيّ، نتطرّق إلى التمثيل وصناعة الأفلام: للمرأة

دورٌ مهمٌّ في هذا المجال، حيث تشارك في صناعة المسلسلات والأفلام الإسلاميّة التاريخيّة مثلاً، مؤدّيةً دور إحدى الشخصيّات النسائيّة المرموقة في عصرها، مبرزةً طهارة وعفّة تلك الشخصيّة من خلال سترها وحيائها وطريقة كلامها ومشيها كشخصيّة السيدة مريم بنت عمران على سبيل المثال. ولا يقتصر دورها على تلك المسلسلات والأفلام، بل يتّسع ليشمل المسلسلات الاجتماعيَّة والأسريّة، حيث تنقل صورة المرأة المسلمة والتحديات التي تواجهها في مجتمعها وكيفيَّة التعامل معها.

أمّا فيما يخصّ المجالات الفنيّة الأخرى، كالرسم، والنحت، والعزف على الآلات الموسيقيّة، فإنّ المجتمع الإسلاميّ بحاجة إلى مشاركة المرأة في تلك المجالات بهدف تصدير صورة المرأة المسلمة إلى المجتمعات الأخرى التي تعتقد جهلاً أنّ المرأة المسلمة مسجونةٌ في منزلها ولا يحقّ لها أن تشارك في الحياة الفنيّة أو الثقافيّة، بالإضافة إلى دورها في تدريب وتأهيل الفتيات لتنمية مهارتهنّ بالشكل التقنيّ الصحيح.

لا بدّ من مشاركة المرأة في المجالات الثقافيّة للمجتمع الإسلاميّ، إذْ إنّ مشاركتها تترك أثرًا إيجابيًّا عليها وعلى مجتمعها على حدٍّ سواء، إلّا أنّ مراعاة الشريعة الإسلاميّة في عملها وإرادة خدمة المجتمع الإسلاميّ شرطٌ من شروط ذلك العمل وتلك المشاركة.

قد نلاحظ في الآونة الأخيرة، بعض الفضائيّات الإسلاميّة تُبرز صورةً إعلاميّةً عن المرأة المسلمة بشكلٍ لا يليق بها، فتظهر مذيعة الأخبار أو مقدِّمة البرامج أو المراسِلة على تلك الفضائيّات بكامل زينتها، من مساحيق تجميل وقلائد وغيرها، وتكاد لا تتميّز عن المذيعات السافرات

إلّا بغطــاء الرأس، وكأنّ غطاء الرأس هو المظهر الكافي لإبراز قيمة العفَّة والحياء.

بالإضافة إلى النساء المسلمات اللّاتي يشاركن في الفعاليات الرياضيّة، التي تتطلب أداء الحركات الجســديّة المنافية للعفّة على نحوٍ فاضحٍ، إلّا أنّهــا تصرّ على احتفاظها بغطاء الرأس التقليديّ الذي ترتديه مع الألبسة الرياضيّة الضيّقة التي لا تغطّي شيئًا من مفاتن جسدها وتفاصيله.

ولا ننــسى تســليط الضوء عــلى الفتيــات المتديّنات نوعًا مــا، اللّواتي يخلعن رداء التديّن في حفلات تخرجهنّ على سبيل المثال، وكأنّ فرحتهنّ بالتخرّج تجيز لهــنّ الظهور بمظاهر غير لائقة في هذا اليوم المحدّد. فما علاقــة أن تعيش إحداهــنّ لحظات الفــرح بنجاحها وتحقيقهــا الإنجاز الدراسيّ المطلوب بأن تظهر بتلك الصورة غير اللّائقة من لباس وتزيّن؟! وهل أنّ التزامهنّ بالشرائع الإلهيَّة يحرمهنّ من تلك الفرحة؟!!

أمام هذه الظاهرة المســيئة، التفتت بعض المؤسّســات التابعة للعتبات المقدّســة في العــراق إلى ظاهــرة حفــلات التخــرّج المــلأى بالمظاهر التــي تعارض قيمتي العفَّــة والحياء، إذْ شرعت في تنظيــم فعاليّات تتيح للفتــاة المتديّنة الاحتفال وإظهار الفرح في هــذا اليوم، ولكن مع الالتزام بالضوابط الشرعيّة.

جميع هذه المظاهر -التي تقدَّم ذكرها- تسيء إلى السَّــتْر والعفاف، ولا ريب في أنّها تسيء إلى مجتمعاتنا الإســلاميّة إساءة كبيرة، نتيجة انتشارها وقدرتها على تكوين صورة معيّنة عن النساء المسلمات لدى المجتمعات الأخرى.

الفصل الخامس:

العفاف وبناء الأسرة

المبحث الأول:
دور الزواج في العفاف الأسْريّ والاجتماعيّ

● أوّلًا: اهتمام الإسلام بسنّة الزواج

أولى الإسلام أهميّة بالغة للزواج، إذ اعتبره من السنن التكوينيّة الفاضلة في حياة الإنسان، ولذا نجد القرآن الكريم ذاخرًا بالآيات التي تتحدّث عن الزواج، وكذا الروايات والأخبار الواردة عن النبيّ (ص) وآل بيته (ع).

قال اللّه ,تعالى،: ﴿**وَمِنْ ءَايَاتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**﴾[1]، أي خلق قرينًا أو زوجًا لكم لينفعكم به، ونسبة القرين إلى النفس في «من أنفسكم» تعود إلى التكامل النفسيّ والروحيّ الحاصل للنفس عند التقائها بقرينها، إذا ما أحسنت اختيار القرين. والسكون هو الطمأنينة والراحة الحاصلة في فلسفة الزواج التكوينيّة.

فالـزواج في المقـام الأوّل يهدي إلى الكمال الذي تميـل إليه كلّ نفسٍ ناقصة، فاقدة لقرينها، الذي من المفترض أن يشكّل المكمّل والمتمّم لها، الذي يتمتّع بالقدرة على صنع جوٍّ من السرور والطمأنينة للآخر.

وجاء في الآية 187 من سورة البقرة: ﴿**هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ**﴾، واللّباس يمكن تفسيره بعدّة وجوه، فمن الممكن أن يتمّ تفسيره

1

على أنّه اللّباس الذي يساعد على الادّثار والدفء والسكون، وهذا يكون مطابقًا لما ذكر في مقام الآية السابقة. إلاّ أنّ التفسير الأشهر المستفاد من سياق الآية: ﴿**أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ ۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ۗ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ**﴾، هو تفسير اللّباس بالغطاء الساتر للبدن، والسَّتْر هنا يعني ترك الفجور، أي أنّ كلاًّ من الزوجين يساعد الآخر على ترك الفجور، ويحصّنه ويمنعه من إتيان المحرّمات الجنسيّة.

● ثانيًا: دور الزواج في الحفاظ على العفاف

إنّ من أبرز مظاهر العفّة النفسيّة هي عفّة الفرج، ومعنى عفّة الفرج الامتناع عن الركون إلى النكاح المحرّم، والنكاح المحرّم هو أي علاقة جنسيّة قائمة خارج الإطار الشرعيّ وهو الزواج، دائمًا كان أو منقطعًا.

لقد خلق اللّه الإنسان وأودع فيه الرغبة والشهوة الجنسيّة التي تحثّه على الزواج وإعمار الأرض وبناء المجتمع الصالح وغيرها من الغايات. إلاّ أنّه لا بدّ لنا من الالتفات إلى أنّ الاستمتاع الجنسيّ والأنس العاطفيّ يشكّلان غايةً مستقلّةً في حدّ ذاتها. ولأجل إشباع تلك الرغبات الجنسيّة والعاطفيّة، لا بدّ للإنسان من شريكٍ يؤمنّها له، في إطارٍ شرعيٍّ يرضي اللّه, عزّ وجلّ.

فإن لم يتمّ إشباع تلك الحاجات والرغبات الجبلِّيّة الموضوعة في الإنسان، فقد يتعرّض الشاب أو الفتاة للفتنة، ممّا قد يوقعهم في فخّ المحرّمات والعلاقات غير الشرعيّة. ومن هنا، يمكننا القول: إنّ الزواج يشكّل حصنًا مانعًا من إتيان الذنوب.

عن رسـول اللّه, صلى اللّه عليه وآله قال: «يا معشر الشـباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنّه أغضّ للبصر وأحصن للفرج»[1].

وعنـه (ص) أيضًـا: «من أحـبّ أن يلقى اللّـه طاهراً مطهّـرًا، فليتعفّف بزوجة»[2].

نعم، فرض الإسـلام على الإنسان تهذيب غرائزه بأن يخضعها للضوابط الإلهيَّـة الشرعيّة، فعلى سـبيل المثال، حثّه على تهذيب الغريزة الجنسـيّة وضبطهـا ضمـن حدود الزواج الشرعـيّ، إلّا أنّه لم يفرض على الإنسـان نسـف هذه الغريزة باللّجـوء إلى الرهبانيّة وترك النكاح بشـكلٍ كليٍّ، ولم يكتفِ الشـارع المقـدّس بعدم فـرض الرهبانيّة، بل ذهـب أبعد من ذلك وأوجب تركها، على لسان رسول اللّه حيث قال: «لم يرسلني اللّه بالرهبانيّة ولكـن بعثني بالحنيفيَّة السـمحة أصوم وأصلّي وألمـس أهلي فمن أحبّ فطرتي فليستنّ بسنّتي ومن سنّتي النكاح»[3].

● ثالثًا: العفاف ومعايير اختيار الزوج/ة

إنّ فلسـفة الزواج في الإسـلام ذات الأهداف والغايات السامية، تحتاج إلى جهدٍ شـخصيّ من الإنسـان والأفـراد المقدمين على الـزواج لتحقّق الأهداف التي رسـمها اللّه ,تعالى،. إذ لا يمكن لشخصٍ أساء الاختيار أن يقول لم يؤمّن لي الزواج هذا الهدف أو تلك الغاية. نعم، هي سـنن كونيّة

1 - البروجردي، جامع أحاديث الشيعة، ج9، ص20.
2 - الميرزا النوري، مستدرك الوسائل، ج14، ص150.
3 - الكليني، الكافي، ج5، ص494.

موضوعة من قبل اللّه عزّ وجلّ، لكنّ لا بدّ لها من الأسباب والمسبّبات الطبيعيّة حتى تجري مجراها الصحيح. لكنّ حكمة اللّه عزّ وجلّ، لم تترك الإنسان ليتشتّت في أودية هذه المسألة المهمّة، التي يمكن لها أن تحدّد مسيرة حياته المستقبليّة، فوضع اللّه, عزّ جلّ, معايير محدّدة في اختيار الشريك في سبيل قطف ثمار تلك العلاقة، وفيما يلي نذكر بعضًا منها:

1. أوّلًا: صفات الزوجة الصالحة:

● أن تكون متديّنة، بمعنى المرأة المراعية للضوابط الشرعيّة، التي تحرص على كسب رضا اللّه عزّ وجلّ في نفسها وفي سلوكها، فعن أبي جعفر (عليه السلام)، قال: «قال رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله): عليكم بذات الدّين»[1]

● أن تتمتّع بالجمال، فإنّ الميل إلى الجمال يعدُّ أمرًا فطريًّا لا يتعارض مع التديّن والالتزام بالشريعة، بل بالعكس فإنّ الإسلام يحثّ على اختيار الجميلة والوسيمة. وفي هذا السياق قال رسول اللّه (ص): «أفضل نساء أمّتي، أصبحهنّ وجهاً...»[2].

-أن تحفظ زوجها في نفسه وماله، أي لا تخونه في غيابه أو تضع ماله في غير موضعه إذا ما أمّنها عليه، فقد ورد عن الإمام الرضا (عليه السلام) أنّه قال: «ما أفاد عبد فائدة خيراً من زوجة صالحة، إذا رآها سرّته، وإذا غاب

1 - الطوسي، تهذيب الأحكام، ج7، ص399.
2 - الكليني، الكافي، ج5، ص324.

عنها حفظته في نفسها وماله»[1].

● أن تتمتّع بصفة العفَّة، فعن جابر بن عبد اللَّه، قال: «كنّا عند النبي (صلى اللّه عليه وآله)، فقال: إن خير نسائكم: ...العفيفة»[2].

2. ثانيًا: صفات الزوج الصالح:

● أن يكون ذو دينٍ وخُلُق، أي يكون ملتزمًا بالضوابط الشرعيّة حريصًا على عدم هتك حرمات اللّه، بالإضافة إلى تمتّعه بحسن الخُلُق فلا يؤذي زوجته ولا يهينها. قال رسول اللّه في هذا السياق: «إذا جاءكم من ترضون خُلقه ودينه فزوّجوه»[3].

● أن يكون عفيفاً، فعن أبي عبد اللَّه (عليه السلام) قال: «الكفء أن يكون عفيفاً»[4].

● أن يكون جوادًا سخيًّا، قال رسول اللّه (ص): «إنّ من خير رجالكم التقيَّ، النقيَّ، السمحَ الكفّين...»[5].

● أن يكون غيورًا على عرضه، فقد ورد عن رسول اللّه (ص) أنّه قال: «كان إبراهيم أبي غيورًا، وأنا أغير منه، وأرغم اللّه أنف من لا يغار من المؤمنين»[6].

---

1 - القمي، قرب الإسناد، ص327.
2 - الكليني، الكافي، ج5، ص324.
3 - البروجردي، جامع أحاديث الشيعة، ج20، ص84.
4 - الكليني، الكافي، ج5، ص347.
5 - الكليني، الكافي، ج2، ص57.
6 - الصدوق، من لا يحضره الفقيه، ج3، ص444.

● **رابعًا: العفاف وضوابط العلاقة الزوجيّة**

بعد اختيار الشريك الصالح والمناسب للزواج، وضع الإسلام ضوابط للعلاقة الزوجيّة، من أجل إعلاء قيمة العفاف في المجتمع. ولا سبيل لإعلاء هذه القيمة إلّا بعلاقة زوجيّة مناسبة ملأى بالودّ واللّطف تشبع الحاجات العاطفيّة والجنسيّة للطرفين. وفي هذا السبيل، حفّز الإسلام المرأة المتزوّجة على التزيّن والتجمّل لزوجها بهدف استمالته عاطفيًّا وجنسيًّا، فعلى المرأة أن تبذل جهدًا كافيًا لتظهر بأحسن مظهر وأجمل صورة أمام زوجها بغية إمتاعه وتقريبه منها، ومن ثَمَّ تعميق العلاقة المعنويّة والجسديّة بينهما، وفي هذا السياق، ورد عن رسول اللّه: «وعليها (أي الزوجة) أن تطيّب بأطيب طيبها، وتلبس أحسن ثيابها، وتتزيّن بأحسن زينتها، وتعرض نفسها عليه غدوةً وعشيَّة...»[1].

ولا بدّ من الإشارة إلى أنّ التزيّن والتجمّل ليس حكرًا على النساء، فينبغي على الرجل أيضًا أن يعمل على الظهور بمظهرٍ حسنٍ أمام زوجته وأن يتهيّأ لها، إذ إنّ التهيّؤ الجسديّ وتنظيف البدن وتزيينه يزيد من عفّة النساء، لأنّه يحصّنها من الالتفات إلى غير زوجها، فعن الإمام الرضا, عليه السلام قال لذروان المدائنيّ: «أما علمت أنّ التهيئة تزيد في عفّة النساء؟! أيَسرّك أنّك إذا دخلت على أهلك فرأيتها على مثل ما تراك عليه إذا لم تكن على تهيئة؟!

قال المدائنيّ: لا .

1 - الكليني، الكافي، ج5، ص508.

قال عليه السلام : هو ذاك»[1].

وعنه, عليه السلام, قال: «.. إنّها تحب أن ترى منك مثل الذي تحب أن ترى منها، ولقد خرجن نساء من العفاف إلى الفجور، ما أخرجهنّ إلاّ قلّة تهيّؤ أزواجهنّ»[2].

أمّا فيما يخصّ العفاف داخل أسوار العلاقة الزوجيّة، فمن المهمّ الحفاظ على تلك القيمة في العلاقة الجنسيّة بين الزوجين، فعلى سبيل المثال، يحرم وطء الزوجة في الحيض، كما تحرم على الصائم ممارسة الجنس خلال نهار شهر رمضان المبارك. فمن لم يبنِ في نفسه ملكة العفَّة، فلن يحفظ عفّته في علاقته مع زوجته، وقد يقع في فخّ المحرّمات حتى داخل إطار الزوجيّة المشروعة.

● خامسًا: آثار العنوسة السلبيَّة على العفاف الاجتماعيّ

وفي نهاية المطاف، وبالعودة إلى الواقع الاجتماعيّ، تشير إحصائيّات العنوسة -أي المرحلة العمريّة التي تصل إليها الفتاة دون أن تتزوّج- في العالم العربيّ والإسلاميّ إلى معدلّات مقلقة، حيث بلغت نسبة العنوسة في لبنان 85 %، أمّا في العراق وسوريا فوصلت النسبة إلى ما يقارب الـ70 %[3]، وفي إيران بلغ عدد الفتيات غير المتزوجات فوق سنّ العشرين 3 ملايين و700 ألف[4].

1 - الطبرسي، مكارم الأخلاق، ص79.
2 - الطبرسي، مكارم الأخلاق، ص81.
3 - أكثر الدول العربية في معدلات العنوسة | المرسال (almrsal.com)
4 - العنوسة تطارد الإيرانيات | إندبندنت عربية (independentarabia.com)

وهذه الإحصائيّات المختصّة بالعنوسة لدى الفتيات، تعكس واقع العزوبة لدى الشباب لأنّ العلاقة بين العنوسة والعزوبة هي علاقة طرديّة، أي كلّما زادت نسبة العنوسة زادت معها نسبة العزوبة تلقائيًّا.

يمكننا اعتبار زيادة نسبة عزوف الشباب والفتيات عن الزواج في مجتمعاتنا ظاهرة خطيرة ومقلقة، لما لها من تداعيات وآثار سلبيّة على الشباب والمجتمع، ومن هذه السلبيّات:

- الركون إلى العلاقات المحرّمة كالزنا والاستمناء واللواط والسِّحاق وغيرها، لأنّ الشاب أو الفتاة سيعيشان تحت مطرقة الحاجات الجنسيّة والجسديّة التي سوف تلحّ عليهما في حال غياب الزواج، أي عدم إشباعها بالشكل الشرعيّ والمضبوط.
- الميل نحو الانحراف الأخلاقيّ وزيادة نسبة التحرّش، بالإضافة إلى ما يستتبعها من شعور بالذنب وتأنيب الضمير والضيق النفسيّ.
- القلق والتذبذب النفسيّ بفعل عدم الإحساس بالطمأنينة والاستقرار والأنس الذي يؤمّنه الزواج.

وبعد معاينة الآثار السلبيّة لعزوف الشباب عن الزواج، لا بدّ لنا من العمل على تحفيز الشباب المسلم على الزواج من خلال تبيان وإيضاح إيجابياته وأهدافه الثمينة، ومساعدتهم كذلك على حسن الاختيار الذي من شأنه أن يوصلهم إلى الغايات العليا المقرونة بالزواج.

المبحث الثاني:
دور غَيرة الزوج في تنشيط ثقافة العفاف

● **أوّلًا: إنّ الله, تبارك وتعالى، غيور يحبّ كلَّ غيور**

الغَـيْرة -بالفَتح- المصدَرُ من قَولك: غـار الرَّجُلُ على أهلِه والمرأةُ على بَعْلِها، تَغارُ غَيْرةً ، والغَيْرة: هي الحَمِيَّةُ والأَنَفةُ[1]

وعـرّف الراغب الأصفهانيّ الغَيْرة بأنّها ثَـوَرانُ الغَضَبِ حمايةً على أكرَمِ الحُرَمِ، وأكثرُ ما تُراعى في النِّساء[2]

كنـا قد أشرنا في المبحـث السـابق إلى أنّ الغَيْرة تعدّ مـن أبرز صفات الـزوج الصالـح، بل هـي من مكارم أخـلاق الرجال، وهـي صفة ملازمة لصفة العفاف، فمن غير الممكن أن لا يغار الرجل العفيف على زوجته أو محارمـه، لأنّ رعايتهم وحفظهم عن أعـين الأجانب تُعَدُّ من أجلى مظاهر قيمتي الغَيْرة والعفاف الموضوعة فطريًّا في نفس الرجل.

وبمـا أنّ الرجـل المؤمن مـن المفروض عليـه أن يتخذ على عاتقـه التخلّق بأخلاق اللّه عزّ وجلّ ورسوله الكريم محمّد (ص)، فلا بدّ له أن يتّصف بالغَيْرة لأنّهـا من صفات اللّه, عزّ وجلّ، فعن أبي عبد اللّه عليه السـلام قال: «إنّ اللّه, تبارك وتعالى، غيور، يحبّ كلّ غيور ولغيرته حرّم الفواحش ظاهرها وباطنها»[3].

1 - ابن منظور، لسان العرب، (غ ي ر).
2 - الأصفهانيّ، الذريعة إلى مكارم الشريعة، ص347.
3 - النراقي، جامع السعادات، ج1، ص204-208.

ومـن خلال هذا الحديـث الوارد عن أبي عبد اللّه، يمكننا استشـعار أنّ الغَـيْرة ملازمـة لترك الفواحـش، إذ إنّ الرجل الذي يحفـظ حدود اللّه في زوجتـه ويحميها من مشـاركة الأغيـار، يحصّنها ويبعدها عـن كلّ ما قد يوقعها في الفتنة أو الريبة، ولا يسمح بأن تكون زوجته وسيلةً متحرّكةً تثير غرائز وشهوات الرجال في المجتمع.

وكـما أنّ الغَيْرة تُصنّف من أرقى الملكات النفسـانيّة، ففي مقابلها ملكة عـدم الغَيْرة أو الدِّياثة التي تعدّ من أدنى وأحقر الملكات النفسـانيّة، التي تسـتقرّ في نفس الرجل نتيجة بعده عن اللّه, تبارك وتعالى، وطمسه للفطرة الإلهيَّة السامية المجبول عليها.

وكنّـا قد أشرنـا في الفصل الأوّل إلى ادّعاء الغربيِّين الـذي يُعرّف الغَيْرة بأنّهـا مظهر مـن مظاهر الأنانيّة، بل أكثر من ذلـك، اعتبرها بعضهم غريزة حيوانيّـة منتشرة في المجتمعـات البدائيّة, ومن المفـترض أن تتلاشى مع التطـوّر والتقـدّم المجتمعيّ. هـذه الأفكار الباطلة، وبفعل سـيطرة الفكر التغريبـيّ عـلى مجتمعاتنـا، قد تركت أثرهـا في نفس رجـال مجتمعاتنا، فشرع بعضهم إلى التخلّي شـيئًا فشـيئًا عن هذه القيمة السَّـنيَّة، فأضحت ظاهرة النسـاء السافرات مشـهدًا منتشرًا و «عاديًّا» في شوارعنا، وأسواقنا، وجامعاتنا، ومؤسّساتنا و...الخ

ثانيًا: غيرة الرجل والعفاف الاجتماعيّ

إنّ الرجـل المجـرّد من غيرته، لا يجد أيّ مشـكلة في خروج زوجته -أو محارمـه- بشـكلٍ مثيرٍ أمام أعـين الأغيار، بل يعدُّ نفسـه ذا عقليّة منفتحة ومتطوّرة تحفظ لزوجته حريّتها، لا بل أكثر من ذلك، فمن الممكن أن نجد

بعض الرجال يتباهى ويشعر بالفخر في إظهار محاسن ومفاتن زوجته، وكأنّه يعرض سيّارةً أو سلعةً قد اشتراها، لينافس أصحابه أو أقرانه!

ولا ريب في أنّ ظهور المرأة في تلك الحالة المخالفة للشريعة الإلهيَّة، تؤذي المجتمع بشكلٍ فادحٍ، إذ إنّها تتحوّل من إنسانٍ إلى كائنٍ من شأنه أن يستحضر شهوات الرجال الّذين يرونها، ممّا في غالب الأحيان قد يسهم في نشوء علاقات غير شرعيّة قد تصل إلى حدّ الزنا، أو على أقلّ تقدير ممارسة النظر المحرّم. وقد وردت أحاديث عديدة في ذمّ الديوث الذي لا غيرة له، نذكر منها:

- عَنْ أَبِي الْحَسَنِ مُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ (ع) قَالَ: «حُرِّمَتِ الْجَنَّةُ عَلَى النَّمَّامِ وَمُدْمِنِ الْخَمْرِ وَالدَّيُّوثِ وَهُوَ الْفَاجِرُ»[1].

هذه المخالفات للشريعة الإلهيَّة، وترك قيمة الغَيْرة، لا شكّ في أنّها تساهم بشكلٍ مباشرٍ في نشر الفساد والرذيلة في المجتمع، وتؤذي جميع أفراده بجرّهم نحو الانحطاط، فضلاً عن آثارها السلبيّة العائدة على طرفي العلاقة الزوجيّة والأسرة التي تتكوّن بينهما.

1 - الصدوق، ثوب الأعمال وعقاب الأعمال، ج1، ص270.

المبحث الثالث:

دور الأسرة في التربية على العفَّة والعفاف

● **أوّلًا: الجرأة الأدبيّة في فتح النقاش حول التربية على العفَّة**

إنّ الكثـير من القضايا التي ترتبـط بالعفَّة ترتبط أيضًا بالبعد الجنسي من حياة الإنسان، فلو طرحت أي فتاة مثلاً مجموعة من الأسئلة التالية:

لماذا يجب عليّ أن أتحجّب وألبس لباساً يستر جمالي وأنوثتي؟.

لماذا يحرم عـليّ التزيّن والتجمّل ووضع مسـاحيق التجميل والمناكير أمام الشباب؟

لمـاذا يحرم عـليّ المفاكهة والمحادثـة الغراميّة مع زمـلائي الذكور في الصفّ؟

لمـاذا يحرم عليّ مصافحة ابن عميّ أو خالي وابن عمّتي أو خالتي، وأنا أشعر اتجاهه بأنّه مثل أخي؟

لماذا لا ينبغي عليّ تليين الصوت وأنا أرى في ذلك أنوثتي الجميلة؟

لماذا يحرم عليّ قص الشعر عند مصفف شعر أو كوافير رجاليّ؟

لماذا يحرم عليّ الرقص في الأعراس المختلطة؟

لماذا يحرم عليّ العلاج وكشـف أعضاء بدني عند طبيب قد أقسـم قسم شرف المهنة؟

.... وهكذا عشرات الأسئلة التي ترتبط بالعفَّة.

إنّ الجـواب عن هذه الأسـئلة -في مكان ما- سـيحيلنا إلى البحث

عن القضايا الجنسيّة، لأنّه سيفضي إلى الحديث عن طبيعة تكوين الأنثى وأنّها عنصر جمالي يجذب الذكر، وعن طبيعة تكوين الذكر وأنّه عنصر ينجذب إلى الأنثى، وأنّ الإسلام يريد حماية المجتمع من الغرائز الشهوانية الجنسية، ويريد حماية المرأة من التحرّش في الشارع، ويريد لها أن لا تبرز جمالها إلّا في دائرة الزوجيّة... إلخ من هذه الأحاديث.

فالحديث عن العفَّة مرتبط بشكل أو بآخر بالحديث عن القضايا الجنسيّة، والتربية على العفَّة في قسم كبير منها هي تربية جنسيّة بالمعنى الأعم.

ونلاحظ في مجتمعنا وجود حالة الخجل أو الحياء في فتح باب النقاش حول القضايا التي تتعلّق بالعفَّة خصوصًا التي ترتبط بمواضيع لها طابع جنسيّ، سواء داخل جدران المنزل والأسرة، أو في الصف داخل المدرسة، أم في المجتمع عامّة، وإذ حصل أن فُتح باب النقاش كما لو حصل بين الفتاة وأمّها الحديث عن العادة الشهريّة أو الحبّ والغرام والتواصل مع الشباب...، أو بين التلميذ ومعلّمه عن المثْليَّة الجنسيّة أو الاستمناء...، نلاحظ أنّ المشاركين في الحوار يتحرّكون بحذر ويشعرون بالحرج من طرح الأمور كما هي على بساط البحث، فلا يعيشون حالة من الجرأة الأدبيّة أو الحرِّيَّة في التعبير عن الفكرة أو الصراحة.

لعلك تشاركني الرأي ، أنه يمكن اعتبار البحث عن القضايا التي تتعلّق بالعفَّة والتربية الجنسيّة من أشدّ أنواع الأحاديث صعوبة، بنحو يجعل الكلام عن الجنس عند بعضهم ضمن دائرة الممنوع التفكير فيه أو الخوض

في الـكلام عن قضاياه وإشـكالياته، وقد نرى البعـض يضعها على رأس لائحة القضايا التي يتحرّج ويسـتحيي من تسـليط الضـوء عليها ويتهرّب من معالجتها، لأنّها أمر معيب إلى درجة يمكن القول: إنّ هناك حساسـيّة وفرط تحسّس Hypersensitivity تجاه هذه القضايا التي ما زالت تُعَدُّ تابو taboo ومحرّمات اجتماعيَّة.

وبطبيعة الحال، هذا اللون من التفكير سيترك بصمته عمليًّا، لأن تصرّف البشر هو وليد تفكيرهم عن الأشياء، فإن من كان التصور سلبيًّا عن الكلام في مثل هذه الأمور، فسـيظهر ذلك في السلوك، حيث سيمتنع عنها نتيجة الشعور بالتحرّج والحساسية والخجل...

- **ثانيًا: إعادة بناء التصوُّر الصحيح عن التربية على العفَّة**

ويمكـن أن نضيف عنصرًا سـلبيًّا آخر، يُعقدّ عمليـة التثقيف على العفَّة والتربية الجنسـية، وهو الانطباع الخاطـئ عن مفهومهما، إذ قد يتبادر إلى تصور مجموعة من الناس من التثقيف الجنسي معناها الضيق، أي المرتبط بالعلاقة الجنسية بين الذكر والأنثى.

في حـين أنّ عمليـة التثقيف الجنسي أو التربية عـلى العفَّة هي نوع من التنشـئة الاجتماعيَّـة التـي تمدّ الفـرد بالمعلومـات العلميّـة، والخبرات الصالحـة، والاتّجاهات السـليمة إزاء تلك المسـائل، بقدر ما يسـمح به نمـوّه الجسـميّ والفيزيولوجي والعقـليّ والانفعـاليّ والاجتماعيّ، وفي إطار التعاليم الدينيّة، والمعايير الاجتماعيَّة، والقيم الأخلاقيَّة السـائدة في المجتمـع، مـمّا يؤهّله للتوافـق في المواقف التي ترتبـط بالعفَّة والقضايا

الجنسيّة ومواجهتها مواجهة واقعيّة [1].

ومن شديد الأسف أنّ تلك الطريقة في التفكير السلبيّ، قد تدفع بعضهم إلى إهمال التربية على العفَّة بمفهومها الواسع والشامل، وترك التربية والتهرّب منها هو في حدّ نفسه تربية، ولكنه تربية خاطئة وفاسدة وغير صحيحة.

ولذلك يمكن عدُّ الخطوة الأولى التي ينبغي أن نمشي عليها تجاه التربية على العفَّة، هي إعادة بناء تصوّر صحيح عنها[2].

وإذا أردنا رسم بعض معالم التصور الصحيح عن التربية على العفَّة، يمكن تلخيصه في بعض النقاط:

1 - الأولى: التربية على العفَّة هي عملية تعليميَّة تمدّ المتربيّ بالمعلومات الصحيحة الموثوقة المأمونة.

2 - الثانية: أن يتوافق المحتوى التعليمي مع المرحلة العمرية للمتربي[3] وخصائصه النمائية.

3 - الثالثة: أن يتعامل المربيّ بذكاء مع المعلومات، أي أن يعرف متى يُظهر بعض المعلومات ومقدار الجرعة التي يعطيها للمتربيّ ومتى يخفي عنه بعض المعلومات التي لا تتناسب مع سنّه وعمره ويحتفظ بها بعيدًا

1 - انظر: الزعبي، سيكولوجيّة المراهقة النظريّات- جوانب النموّ- المشكلات وسبل علاجها، ص123. وهرمز، صباح حنّا، إبراهيم، يوسف حنّا، علم النفس التكوينيّ (الطفولة والمراهقة). ومعدي، الحسينيّ الحسنيّ، التربية الجنسيّة للمراهقين والشباب من منظور إسلاميّ.

2 -أنظر: حاجي، ده آبادي، الحقوق التربويّة للطفل في الإسلام، ص207.

3 - يراجع: القوصي، أسس الصِّحة النفسيّة، ص480.

عن تداوله إلى أن يصبح في مرحلة عمريّة مؤهّلاً ليتلقاها.

4 - الرابعة: ألاَّ يتم الاكتفاء بعملية التعليم، بل بتنمية الاتجاهات الأخلاقيَّة التي تجعله إنساناً مهذّباً.

5 - الخامسة: تدريب المتربيّ على تحويل هذه المعلومات إلى سلوك في الحياة.

6 - السادسة: تمرين المتربي على كيفيَّة حماية نفسه من التحرشات وأشكال الإساءة الجنسية.

7 - السابعة: تشمل التربية على العفَّة الرعاية الصحّيّة للنموّ الجنسيّ السليم.

8 - الثامنة: أن تنسجم المعلومات مع التعاليم الدينية.

9 - الثامنة: تشمل التربية على العفَّة قيام أولياء الأمور بالإجراءات التي من شأنها أن تحقق الأهداف المطلوبة.

● ثالثًا: أهداف التربية على العفَّة

نسعى من خلال التربية على العفَّة إلى تحقيق أهداف عدّة، أهمّها:

1 - غرس معلومات صحيحة وعلمية وموثوقة. إذ لو ترك المتربيّ بدون تربية على العفَّة فإنه سيتأثر بالمصادر غير الموثوقة كالأصدقاء والأنترنت والبالغين حديثاً...

2 - تهذيب الغريزة الجنسية وترشيدها.

3 - حماية الشباب والفتيات من مختلف أشكال الإساءة.

4 - حسن التكيّف مع المواقف المختلفة التي قد تتعرّض لها الفتاة أو

الشاب في حياته.

5 - الرعاية الصحّيّة للنموّ الجنسيّ السليم.

6 - إضعاف الانجرار إلى الانحرافات الجنسية الخطيرة.

● رابعًا: متى تبدأ عملية التربية على العفَّة؟

أودع الله, سبحانه وتعالى، في الإنسان منذ ولادته مجموعة من الغرائز التي تمكّنه من تأمين احتياجاته ومتطلباته في الحياة، وهذه الغرائز تكون موجودة في نفس الإنسان بشكل قهريّ لا اختيار له في نزعها واستئصالها[1]، بل الحد الأقصى أن يهذّبها ويتحكم بها ويسيطر عليها في ضوء العقل والشرع كما ذكرنا في المبحث الأول، ومن هذه الغرائز: غريزة الميل إلى الجنس الآخر، والانجذاب إلى الجمال، وحبّ التزيّن وإبراز الذات بصورة حسنة، ومشاعر الحبّ والغَيْرة و... وهذه الأحاسيس والمشاعر تكون مغروسة في الإنسان منذ الطفولة والمبكرة وإن بدرجات ضعيفة جدًّا ثم تبدأ بالنمو التدريجي شيئًا فشيئًا مع مرور الوقت والمراحل العمريّة المختلفة.

وقد أثبتت بعض الأبحاث العلميّة الحديثة ذلك، جاء في موسوعة الحياة الجنسيّة: «يشعر الطِّفل منذ الولادة، بل حتّى قبل ذلك، بالأحاسيس الجنسيّة، فالصورة الصوتيّة لجنين عمره 29 أسبوعاً يمكن أن تشير إلى وجود انتصاب في عضوه الذكريّ، كذلك يحدث الانتصاب لدى الأطفال

1 - الطوسي، التبيان في تفسير القرآن، ج2،ص411.

والأولاد أثناء النوم.

وفي وقت لاحق، ما بين 18 شـهراً و3 سنوات، يدرك الطِّفل وجود فارق بين الجنسـين، ويميّز أجزاء جسـمه المختلفة، وهـذا الإدراك يحصل في أثناء اكتسابه اللغة، وتعلّمه كيفيَّة التحكّم بعمليّتي التغوّط والتبوّل.

ما بين 3 و 5 سنوات، يطرح الطِّفل بدافع من فضوله، أسئلة عن الأعضاء التناسليّة...

ما بين 5 و 11 سـنة، أي في المرحلة الدراسـيّة الابتدائيّـة، يميل الطِّفل إلى الألعـاب المألوفة لدى الأطفال، مثل لعبة الطبيب والممرّضة، أو لعبة الأب والأمّ في البيـت. وبعـض الأطفـال في هذه المرحلة يعرف مشـاعر الحبّ الصادقة والعميقة، بما في ذلك الغَيْرة والرغبة الجنسيّة...»[1].

فأوّل خطوة في التربية على العفَّة أن يقتنع المربون كالوالدين والمعلمين والقادة الكشـفيّين مثلاً بأن الطفل منذ سن مبكرة يملك بعض الأحاسيس الجنسـية التي تتناسـب مع مرحلته العمرية وخصائصه النمائية ، وبالتالي منذ الطفولة المبكرة نحتاج إلى التربية على العفَّة[2].

وفي هذا السـياق، نلاحظ أنّ الإسلام قد أكّد أنّ بداية التربية على العفَّة، تبدأ من الأشـهر الأولى لـولادة الطفل، نعرض بعض النماذج والشـواهد المؤيّدة للفكرة.

1. عن عليّ أمير المؤمنين عليه السلام، قال: «نهى رسول الله أن يجامع

1 - جان كهن، موسوعة الحياة الجنسيّة، ص78-79.

2 - يراجع: عبلة مرجان، التربية الجنسيّة للأطفال حقّ لهم واجب علينا.

الرجل امرأته والصبيّ في المهد ينظر إليهما»[1].

وقد علّلت بعض الروايات ذلك بأنّه يُورث الزنا[2]، وفي روايات أخرى أنّه يكون الولد مشهورًا في الفسق والفجور[3].

2. عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «والذي نَفْسِي بِيَدِهِ[4]، لو أنّ رجلاً غَشِيَ امرأته وفي البيت صبيّ مستيقظ يراهما ويسمع كلامهما ونَفَسَهما، ما أفلح أبداً، إذا كان غلاماً كان زانياً، أو جارية كانت زانية»[5].

● خامسًا: كيف أتعامل مع أسئلة ابني وابنتي؟

ذكرنا في بداية البحث أنّنا نسمع من أبنائنا وبناتنا مجموعة من الأسئلة، نعيد طرحها من باب التذكير، مثل:

لماذا يجب عليّ أن أتحجّب وألبس لباساً يستر جمالي وأنوثتي؟.

لماذا يحرم عليّ التزيّن والتجمّل ووضع مساحيق التجميل والمناكير أمام الشباب؟

لماذا يحرم عليّ المفاكهة والمحادثة الغراميّة مع زملائي الذكور في الصفّ؟

لماذا يحرم عليّ مصافحة ابن عميّ أو خالي وابن عمّتي أو خالتي، وأنا

1 - النوري، مستدرك الوسائل، ج14، ص228.

2 - الكليني، الكافي، ج5، ص499.

3 - ابنا بسطام، طبّ الأئمة، ص133. ويراجع: والحر العاملي، سائل الشيعة، ج20، ص134.

4 - الواو في قوله: «والذي» واو القسم، وضمير الهاء، في قوله: «بيده» يعود إلى الله تعالى، فهذه الجملة هي عبارة عن قسم بالله تعالى.

5 - الكافي، ج5، ص499.

أشعر اتجاهه بأنّه مثل أخي؟

لماذا لا ينبغي عليّ تليين الصوت وأنا أرى في ذلك أنوثتي الجميلة؟

لماذا يحرم عليّ قص الشعر عند مصفف شعر أو كوافير رجاليّ؟

لماذا يحرم عليّ الرقص في الأعراس المختلطة؟

لماذا يحرم عليّ العلاج وكشف أعضاء بدني عند طبيب قد أقسم قسم شرف المهنة؟

فالطِّفل منذ بداية حياته يلاحظ أنّه هناك تباينًا واختلافًا بين أمّه وأبيه، وبين أخته وأخيه، ويشاهد الكثير من المشاهد التي تنمّي لديه هذه الحاسة وهذه الخبرات، مضافًا إلى غريزة حب الاستكشاف والتعرّف والفضول، حيث يلامس أعضاء جسده، ويتحسّسها، ويعبث بها، وينظر إلى أعضاء الآخرين من باب الفضول وحب المعرفة، وقد يدفعه فضوله إلى التلصص واستراق النظر.

وهنا يبدأ بطرح الأسئلة ذات الطبيعة الجنسيّة، مثل: لماذا تمتاز أمّي في شكل جسدها عن أبي؟ ولماذا أمتاز عن أختي/ أخي مثلاً؟ ولماذا أملك عضواً ذكريّاً في حين تفقده أختي؟ ولماذا تحمل أمّي دون أبي؟ ولماذا خالتي أو عمّتي أو... ليست حاملاً؟ وماذا يفعل أبي وأمّي في غرفة النوم؟ لماذا يغلقون الأبواب على أنفسهم؟...[1].

المشكلة الكبرى هنا، أن يشعر الوالدين بالخوف والقلق تجاه هذه الأسئلة، أو بالغرابة والدهشة، فيصدّون الولد بعنف عن طرحها، أو

1 - أنظر: مجموعة من الأطبّاء، كيف تتجاوبين مع أسئلة طِفلك الحرجة.

يجيبونهـا: عيـب هذا الـكلام، أو يقولون له: ما زلت صغـيراً لا تفهم ولا تطرح هذه الأسئلة... إلخ من الأساليب السلبيّة.

أيها الوالدين العزيزين، أيها المربّون الأعزاء، هذه الأسئلة والأفكار تأتي في سياق طبيعيّ لنموّ الطِّفل وفضوله واكتشافه الحياة من حوله.

ينبغي على الوالدين والمربّين:

3. عدم إهمال أسئلة أبنائهم وبناتهم.

4. أن يتحمّلوا المسؤولية ويكونوا على قدر التحدّي، فإنّ هذا هو دورهم في الحياة.

5. عدم التهرب من الجواب، فإنّه لا ينفع.

6. اجتناب الجواب الخاطئ، فإنّه يؤذي.

7. عدم الصدّ عن السؤال، فإنّه يسبب الضرر.

8. ومـع العجز وعدم القدرة عـلى الجواب والتعامل مـع هذه المواقف، عليهـم بتثقيف أنفسـهم والمطالعة، وعليهم باستشـارة أهـل الخبرة والفن والاختصاص، كل الأسـاليب السـلبيّة التي تقدّمت لا تحل المشـكلة بل تزيـد من منسـوبها، لأنّ الفتـاة أو الولد إذا لم يلقَ جوابًـا كافيًا من الأهل سـيلجأ إلى غيرهـم، ويدفعه فضوله إلى البحث عنها خـارج دائرة البيت، فيقصـد مصادر قد تكون غير موثوقة ومأمونة، أو تفتح أمامه أبواب الصور والمعلومات الإباحيّة، أو يقع فريسة الاستغلال من قبل الآخرين.

سادسًا: تحذير الشباب والفتيات من المفاهيم الغربيَّة في التربية الجنسيّة

هناك اختلاف جوهري بين أساليب التربية الإسلاميّة على العفَّة وأصولها وبين وجهة نظر بعض علماء التربية وعلماء النفس في الغرب؛ فالإسـلام

يريد بناء المجتمع العفيف الطاهر الذي تسود فيه القيم الأخلاقيَّة والدينية من السَّـتْر والحياء والغَيْرة وحمايـة المرأة والتحكم بالغريزة والشـهوات الجنسـيّة وضبط الميل نحو الجنس الآخر.... أمّا هؤلاء فيرغبون في نوع من التربية الجنسية للشـباب والفتيات تهمل الجانب الأخلاقي والقيمي، أي تربيـة ضـد العفَّة والحيـاء والغَيْرة، تربيـة تريد تقبّل السـفور والمثْليَّة الجنسـية والتعرّي والاختلاط المحـرّم والمصافحـة والتقبيل والأحضان بين الجنسـين والصداقة بين الذكور والإناث... نعرض بعض النماذج من أقوالهم المقزّزة والمقيتة.

1. يقول برتراند رسل: «إنّ التربية الأخلاقيَّة المبكرة تصبح مضرّة بصورة خاصّة في ميدان الجنس... لا تعلّموا الولد أيّ آداب جنسـيّة قبل أن يبلغ سـنّ الرشـد، وتجنّبوا بدقّة أن تسرّبوا إليه فكرة أنّ ثمّة شيئاً كريهاً أو منفّراً في وظائف الجسم الطبيعيّة»[1].

2. ويقول لارسـن أولرسـتام: «... تنظيم التثقيف والتعليم - الجنسـيّين - تنظيـماً يقـضي تدريجيّاً وفي مـدّة طويلة على التّزمُّـت ومظاهر التقوى المتطرّفة والجهل والرجعيّة. فعلى الآباء والأمّهات أن يشجّعوا رغبة أبنائهم في الاطّلاع على الشـؤون الجنسـيّة، وأن يبتهجوا بنشاطهم الجنسيّ، فلا يُبدوا لهم القرف أو التبرّم كلّما تناول البحث العلاقات الجنسيّة، فالمعرفة أمضى سلاح لمحاربة التعصّب[2].

1 - رسل، غزو السعادة، كيف تصبح سعيداً في الحياة الزوجية-العمل-المجتمع، تعريب سمير شيخاني، ص79-80.
2 - أولرستام، الشاذّون الجنسيّون، ص166.

ويجب أن يشتمل التعليم الجنسيّ في المدارس على الانحرافات الجنسيّة، فلا يصفها بأنّها أمراض أو نقائص، بل يعتبرها مخارج شرعيّة لإشباع الغريزة الجنسيّة، ولها قيمة الجِماع الطبيعيّ بين الرجل والمرأة.

إنّ الذين يتلقّون تنشئة كهذه يربّون أبناءهم تربية حسنة، ولا يُفسدون مفهوماتهم الجنسيّة، فينمو الأولاد نموّاً طبيعيّاً، ولا خوف عليهم إلاّ من الوقوع بين يدي رجل دين متعصّب» .

وكذلك نلاحظ أن عالم النفس الشهير سيجموند فرويد قبل وفاته بأربع سنوات في ردّه على امرأة أميركيّة أرسلت إليه تستفتيه في أمر ابنها اللوطيّ؟

قال لها: «فهمْتُ من خطابك أنّ ابنك لوطيّ، وتأثرت لأنّك لم تذكري ذلك صراحة، إذ تجنّبت استخدام هذا المصطلح «لوطي»، وربمّا سأسألك: لماذا تجنّبت أن تصفيه صراحة بهذا الوصف؟!! إنّ اللواطة ليست شيئاً يمكن أن يفاخر به أحد، ولكنّها أيضاً ليست شيئاً يمكن أن نستشعر منه الخزي، وليست رذيلة، ولا هي بالشيء الذي يجلب العار على صاحبه، ولا يمكن أن ندرجها ضمن الأمراض، وإنّما نحن نعتبرها اختلافاً في الوظيفة الجنسيّة يترتّب على تعطيل النموّ الجنسيّ، والكثيرون من العصور القديمة والعصر الحاليّ كانوا يمارسون اللواط، ولم يقلّل ذلك من احترام الناس لهم،... ومن الظلم الفادح أن نقول عن اللواط: إنّه جريمة، ومن القسوة أن نَسِمه بهذه السِّمة...»[1].

1 - الحفني، الموسوعة النفسيّة الجنسيّة، ص734.

الفصل السادس:

آليَّات نشر ثقافة العفاف في المجتمع الإسلاميّ وسياساتها

المبحث الأوّل:
أساليب التربية الأُسْريّة على العفَّة

تمهيد

هناك أصول وأساليب تربوية وسياسات ثقافية وضوابط قيميّة عدّة يمكن أن تعتمدها الأسرة في التربية على العفَّة والعفاف من أجل الوصول إلى النتيجة المطلوبة وهي بناء فرد طاهر عفيف، وأسرة طاهرة عفيفة، وبالتالي مجتمع طاهر وعفيف.

- **أوّلًا: منح الفتاة مساحة من التربية الخاصّة على العفَّة**

لا شكّ في أنّ التربية على العفَّة تشمل الذكر والأنثى، ولكن يجدر بالوالدين الالتفات إلى إعطاء الفتاة مساحة مهمّة من التربية الخاصة على العفَّة، فهناك أساليب خاصّة بالذكر وأساليب خاصّة بالأنثى.

فمثلًا، لا شك في أنّ الأنثى تبلغ سن النضوج الجنسي أو التكليف الشرعيّ قبل الذكر.

ولا شكّ في أنّ المطلوب في الأحكام الشرعيّة المتعلّقة بالسَّتْر واللباس والزينة و... من الفتاة في العفَّة هو أكثر من المطلوب من الولد.

فطبيعة الأنثى تستلزم نوعًا خاصًا من أساليب التربية على العفَّة، مثل:

- تأهيل الفتاة على استقبال مرحلة النضوج الجنسي وسن الحيض.
- تمرين الفتاة المميّزة منذ سن 7-8 سنوات على اللباس الشرعيّ والسَّتْر

والحجاب.

- تدريب الفتاة حرمة الاحتكاك الجسدي مع غير المحرم كالتقبيل والمصافحة واللمس...
- تربية الفتاة على أسلوب الكلام والمحادثة واجتناب تليين صوتها وترقيقه.
- تمرين الفتاة على أنّ لإبداء جمالها وأنوثتها خصوصيّة في المجتمع النسائي، واجتناب التزيّن والتجمّل وإبداء أنوثتها أمام غير المحارم.
- تعليم الفتاة آداب الجلوس الصحيح، على نحو لا تباعد بين ساقيها مثلاً...
- تنبيه الفتاة على اجتناب محادثة الشباب الأجانب ومفاكهتم وممازحتهم...
- تنمية عنصر الحياء عند الفتاة.

نعم، ينبغي الحذر في ضرورة تربية الفتاة على التمييز بين الحياء الإيجابيّ، وبين الحياء السلبيّ، فالحياء السلبيّ هو كل ما يمنع الفتاة من ممارسة حياتها بشكل طبيعي ضمن الضوابط الشرعية والأخلاقيَّة بحيث يؤدي بها إلى الانطوائية، فيمنعها مثلاً عن طرح الموضوعات بجرأة أدبيّة مع أمّها أو صديقاتها.

- تنمية حس الثقة المتبادلة بين الأم والفتاة، من خلال مصادقتها، لتكون صندوق سرّها، فتطلعها على أسرارها وآمالها وتصوّراتها، وما تمرّ به من تجارب وخبرات، وما يحدث معها من مواقف، فتستطيع الأمّ أن توجّه ابنتها وترشدها نحو ما فيه كمال شخصيّتها وصلاحها.

● **ثانيًا: أساليب التربية على العفَّة في الملامسة**

● تعريف الأولاد على أنّ هناك مناطق حسّاسة في جسمه خاصّة به، لا يحقّ لأحد الاقتراب منها، وعليه إبداء قمّة الانزعاج والرفض حال حصول ذلك.

● اجتناب ما يقوم به بعض الأهل من باب المزاح والمفاكهة بتلمّس وتحسّس أعضاء الطفل.

عن الإمام عليّ, عليه السّلام, قال: «مباشرة المرأة ابنتها إذا بلغت ستّ سنين، شعبة من الزنا»[1].

وحمل بعض الفقهاء معنى المباشرة على مسّ الفرج[2].

● تمرين الفتاة المميّزة ابتداءً من عمر 6 سنوات، على اجتناب كلّ ملامسة جسديّة مع غير محارمها، كالمصافحة والتقبيل والجلوس في الحضن...

وقد أكّدت الروايات هذه الفكرة التربويّة، نعرض نماذج عدّة منها لأهميّتها:

سأل أحمد بن النعمان أبا عبد اللَّه عليه السلام، فقال له: عندي جويرية [تصغير جارية، أي فتاة صغيرة] ليس بيني وبينها رحم، ولها ستّ سنين؟ قال عليه السلام: «لا تضعها في حجرك»[3].

وعنه, عليه السّلام أنّه قال: «إذا بلغت الجارية الحرّة ستّ سنين، فلا

1 - الصدوق، من لا يحضره الفقيه، ج3، ص436.
2 - المجلسي، محمد تقي، روضة المتقين في شرح من لا يحضره الفقيه، ج8، ص344.
3 - الصدوق، من لا يحضره الفقيه، ج3، ص436.

ينبغي لك أن تقبّلها»[1].

وعنه, عليه السّلام قال: «إذا بلغت الجارية ستّ سنين، فلا يقبّلها الغلام. والغلام لا يقبّل المرأة إذا جاز سبع سنين»[2].

وعن الإمام الكاظم عليه السلام: «إذا أتت على الجارية ستّ سنين لم يجز أن يقبّلها رجل ليس (هي) بمحرم (له)، ولا يضمّها إليه»[3].

● ثالثًا: أساليب التربية على العفَّة في النظر:

● اجتناب الوالدين أي لون من ألوان العلاقة الحميمية أمام مرأى ومسمع الأولاد.

● تعويد الأولاد على الاستئذان عند إرادة الدخول على خلوة الأب والأمّ، أو أيّ فرد آخر من أفراد الأسرة في غرفته، فلعله يقوم مثلاً بتغيير ملابسه...

يقول ,تعالى،: ﴿**يا أيها الذين آمنوا ليستئذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء ثلاث عورات لكم ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن طوافون عليكم بعضهم على بعض كذلك يبيّن الله لكم الآيات والله عليم حكيم* وإذا بلغ الأطفال**

1 - الكافي، ج5، ص533.
2 - من لا يحضره الفقيه، ج3، ص437.
3 - الطوسي، تهذيب الأحكام، ج7، ص461.

منكم الحلم فليستئذنوا كما استئذن الذين من قبلهم...﴾[1].

فهـذه الآية تحفّز الوالدين على تربية الأولاد على أسـلوب من أسـاليب التربية على العفَّة.

- تعريف الأولاد على الأعضاء التي لا ينبغي لأحد النظر إليها.
- تربيـة الأولاد عـلى مسـاوئ ومفاسـد النظـر إلى عـورات الآخرين والتلصّص عليها[2].
- تربية الأولاد على اجتناب مشـاهدة البرامج التلفازيَّة والمسلسـلات والأفلام والمواد التي تحتوي على مشاهد مخلّة بالأدب والعفَّة والحياء.

رابعًا: أساليب التربية على العفَّة في اللباس:

- تدريب الأولاد على ارتداء الملابس الداخليّة بأنفسهم منذ سن مبكرة.
- تربية الأولاد على ستر أنفسهم واجتناب التعريّ أمام أيّ كان.
- تمرين الأولاد على ضرورة إغلاق الباب عند تغيير الملابس.
- التفـات الأمّ أو الأخـت أو غيرهما، إلى ارتداء اللبـاس الذي يراعي العفَّة داخل المنزل.
- اجتناب تغيير الملابس أمام ناظرَيْ الأولاد.
- تعليـم الأولاد التمييز بـين مصاديق المحرم وغير المحرم في السَّـتْر واللباس.

1 - سورة النور، الآية:58-59.

2 - النراقي، مستند الشيعة، ج16، ص35.

- **خامسًا: أساليب التربية على العفَّة في الكلام:**
- اجتناب استخدام الألفاظ الفاحشة أمام الأولاد.
- اجتناب الكلام أمام الأولاد عن العلاقة الخاصّة بين الأب والأم. يقول الشهيد الثاني: «ويستحبّ مؤكّداً إضافة السَّتْر المكانيّ والقوليّ إلى السَّتْر الزمانيّ»[3].[4]
- التأدّب في استعمال الألفاظ وحسن اختيارها للتعبير عن المسائل الجنسية والحميميّة وغيرها.
- اجتناب الحديث عن الطرائف الجنسيّة على مسمع الأولاد.
- اجتناب التصريح بأسماء الأعضاء الجنسية.
- تعويد الأولاد على اجتناب استعمال الألفاظ غير المؤدّبة التي تتنافى مع العفَّة والحياء.

- **سادسًا: أساليب التربية على العفَّة في النظافة الشخصيّة:**
- تمرين الأولاد على إغلاق باب الحمّام عند إرادة الاستحمام أو قضاء الحاجة.
- تعويد الطفل منذ سن مبكرة على دخول بيت الخلاء بنفسه لقضاء حاجته، وتدريبه على الاستحمام بنفسه، والاهتمام بنفسه بنظافة أعضائه

3- المقصود بالستر الزمانيّ هو استحباب أن يكون الدخول ليلاً، لقول رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: «زفّوا عرائسكم ليلاً». الطوسي، تهذيب الأحكام، ج7، ص418، ح1676.
4 - الشهيد الثاني، مسالك الأفهام، ج 7، ص24.

وطهارتها، أو وضع الكريمات أو غيرها على المناطق الحسّاسة من جسمه.

- **سابعًا: أساليب التربية على العفَّة في النوم:**

- تعويد الأولاد على النوم في سريره أو غرفته وعدم مشاركة الوالدين فراشهما.
- تعويد الأولاد على نوم كلّ منهما منفصلاً عن الآخر، وليس في الفراش ذاته.
- تأمين غرفة مستقلة لنوم الفتيات ونوم الذكور، أي الفصل بين الذكور والإناث في المبيت.

وقد ركّزت الروايات عن النبي وأئمة أهل البيت, صلوات الله عليهم, ضرورة الفصل بين الأولاد في المضاجع[1].

- **ثامنًا: الرقابة الذكيّة على تصرفات الأولاد**

ينبغي على الوالدين إعطاء أولويّة خاصّة لمراقبة تصرفات الأولاد وعلاقاتهم بذكاء، فقد تصدر عنهم بعض التصرفات المخلّة بالآداب والعفَّة والحياء كمحاكاة بعض المشاهد التلفازيَّة مثلاً...

فمثلاً لنأخذ طفلاً عمره 8 سنوات نموذجًا، فإنّه بدافع الفضول أو التقليد أو أيّ سبب آخر، قد يأتي ببعض التصرفات والعلاقات المشبوهة التي فيها إيحاءات جنسيّة، كأن يقبّل فتاة على فمها، أو يتحسّس أعضاء أخيه

1 - انظر: الكليني، الكافي، ج6، ص47.

الجنسيّة، أو يتلصّص على شخص أثناء تغيير ملابسه، أو على أحد أثناء استحمامه... لذا، ينبغي أن تخضع علاقات الأولاد لمراقبة ذكيّة من قبل الوالدين، خصوصاً في سنّ التمييز.

وفي هذا السياق، ينبغي مراقبة سلوك الآخرين مع الطِّفل نفسه، فقد يقوم الطِّفل الأكبر سنّاً أو الراشد باستغلال الطِّفل جنسيّاً من دون أن يشعر أهله بذلك نتيجة ثقتهم. لذا، ينبغي أن يكون مبدؤهم في هذا المجال هو الثقة الممزوجة بالحذر، كما في الروايات التي ذكرناها في مبحث التربية على الصداقة، منها: عن الإمام الصادق, عليه السلام: «لا تثقنّ بأخيك كلّ الثقة، فإن سرعة الاسترسال لا تُستقال»[1].

وبناء عليه، ينبغي عدم ترك الطِّفل مع أشخاص غير موثوق بهم وإن كانوا من الأقارب، فالتحرّش الجنسيّ مثلاً بالأطفال غير مختصّ بالغرباء، بل أكّدت دراسات عدّة أنّ نسبة 75 % من التحرّشات الجنسيّة والإساءات التي يتعرّض لها الطِّفل، تصدر عن أشخاص معروفين للضحيّة ومألوفين عنده، وتربطه بهم علاقة قربى أو معرفة[2]. فضلاً عن أنّ الأشخاص الموثوق بهم قد يقومون بتصرفات خاطئة أمام الطِّفل، كالفحش من القول، أو مشاهدة الأفلام التي تحتوي مشاهد تنافي العفَّة والحياء...

1 - الكليني، الكافي، ج2، ص672.
2 - يراجع: زكي، عماد، الطِّفل العربيّ والمستقبل، دار المعرفة، الكويت، 1989م.

المبحث الثاني:

نماذج مقترحة لِـ: سياسات نشر ثقافة الحجاب والعفاف في المجتمع

● أوّلًا: مسؤوليّة المرأة المحجَّبة:

إنّ لكلّ فعل إنسانيّ ظاهرًا وباطنًا، ومن أجل بلوغ درجةٍ من الكمال في هـذا الفعل أو ذاك، لا بدّ لظاهره أن يتطابق مـع باطنه، وإلّا فعدم التطابق يبرز مشكلةً تريد حلًّا.

وكذا الحجاب الذي كنّا قد تحدثنا عن فلسـفته وجوهريّته في المباحث المتقدّمـة، فلا بدّ لظاهـره المعروف باللباس السـاتر وغطـاء الرأس، أن يتطابق مع باطنه وجوهره وهو العفَّة والحياء، ليكتمل مشهد السَّتْر وتتحقّق فلسفة الحجاب وتؤتي ثمارها وأكلها المطلوبة في المجتمع الإسلاميّ.

إنّ فلسفة السَّتْر المقرونة بقيمة العفَّة لا بدّ لها من أن تبدو جليّةً في شكل المرأة المحجَّبة. والالتزام بضوابط الحجاب شكليًّا -كاللّباس الفضفاض والابتعاد عن الزينة- من شـأنه أن يفضي إلى ذلك الهدف. كما أنّ سـلوك المـرأة المحجَّبة مـن المفترض أن يُـبرِز قيمة الحياء الكامنة في نفسـها. فعـلى المرأة المحجَّبة -مثلاً- الابتعاد عـن مجالس اللّغو واللّهو، وتجنّب الاختـلاط المذموم، كما يجـب عليها الالتفات إلى طريقة مشـيها، ونبرة صوتها، من أجل تحقيق ذلك الهدف الذي ذكرناه. ولا ريب في أنّ العمل على إبراز صورة راقية عن المرأة المسـلمة من خلال حجابها، سوف يترك أثـرًا إيجابيًّا في نفوس الآخريـن مطلقًا، وخصوصًا الفتيـات، إذ إنّ الفتاة

الملتزمة بحجابها تملك شيئًا من الوقار والهيبة، الذي لا محال سوف يثير إعجاب الفتيات اللّواتي سيدفعهن الفضول للبحث عن سبب تلك الهيبة وذلك الوقار. ذلك البحث الذي من شأنه أن يعرّفهنّ على مكانة المرأة في الإسلام، وحرصه على حمايتها وتحصينها من خلال سترها وحيائها.

- **ثانيًا: دور علماء الدّين:**

لعلماء الدّين دورٌ بارزٌ في التعريف بالحجاب الشرعيّ والدفاع عنه، وتقديمه بصورة محبّبة إلى نفوس الناس خصوصًا النساء، حيث تكمن مهمّتهم في إزاحة الشبهات المطروحة في مسألة الحجاب بالاستناد إلى الأدلّة القرآنيَّة والأحاديث الشريفة والشواهد التاريخيّة، وتحديدًا تلك الشّبهات التي تعرّضنا لبعضها في المباحث السابقة، المطروحة من قِبَل مدّعي التنوير وإرادة التجديد والتحديث في التراث الدينيّ والشريعة الإسلاميّة لتكون حسب زعمهم مواكبة لتطوّرات العصر ومستجيبة لمتطلّبات التقدّم والتطوّر. كما أنّ عليهم التصدّي للإجابة عن الأسئلة المطروحة من قبل الجيل المعاصر من الفتيات والشباب بطريقة علميّة تحاكي عقل الفتيات وطريقة تفكيرهنّ.

ويجدر بعلماء الدّين استثمار كلّ فرصة ومناسبة -خصوصًا المناسبات الدينيّة المُتعلّقة بأهل البيت- عليهم السلام- لطرح قضية الحجاب والحديث عنها، وتحديدًا عند وجود السافرات أو فتيات حجاب الموضة، واجتناب التذرّع بأنّه سيخسر قسمًا من هذا الجمهور والمتابعين حال تعرّضه لهذه القضية وفتحه النقاش حولها.

● **ثالثًا: دور المؤسّسات التربويّة والتعليميّة:**

ينبغي على المؤسّسات التربويّة الإسلاميّة أن تؤدّي دورًا مهمًّا في هذا المجال، من خلال جعل الحجاب زيًّا رسميًّا داخل حرمها، ممّا يتيح الفرصة لنشره بين الفتيات المنتسبات إلى تلك المدرسة أو الجامعة، ويغلق باب الخلاعة والمظاهر المنافية للستر والحياء. إضافة إلى ذلك إقامة حفلات التكليف للفتيات اللّواتي يبلغن سنّ التكليف، في سبيل ترك بصمة إيجابيّة وذكرى سارّة عن يوم ارتدائهنّ للحجاب تنطبع في أذهانهنّ لمدّة طويلة.

ومن المسائل الجوهريّة في هذا المجال، اعتماد إدارة المؤسّسات التربويّة سياسة توظيف المعلّمات المحجّبات، بما أنّهن يُمثّلن قدوة للتلميذات والطالبات.

● **رابعًا: دور السينما والإنتاج التلفازيّ:**

لمّا كان للتلفاز والسينما دورٌفعّال في تكوين تصورات الجمهور وانطباعاته عن الشخصيّات الحاضرة في العمل السينمائيّ والتلفازيّ؛ لذا يجب على صنّاع السينما أو الفضائيّات الإسلاميّة التركيز على إظهار صورة حسنة وواقعيّة عن الفتاة المحجَّبة، مع الالتفات إلى الحفاظ على قيمتي العفَّة والحياء، ومحاكاة حياة المرأة المحجَّبة بطريقة تقدّمها كغيرها من النساء اللّواتي يعشن حياةً طبيعيّةً، بتسليط الضوء على حياتها العلميّة وإنجازاتها الأدبيّة ونجاحاتها العمليّة، بالإضافة إلى الجوانب الأسريّة والاجتماعيَّة، فضلاً عن مشاركتها في الحياة العامّة الثقافيّة والسياسية والإعلاميّة...

هـذه الصورة من شـأنها أن تهدم فكـرة أنّ الحجاب يشـكّل عائقًا أمام الطموحـات العلميّـة والعمليّة للفتـاة، حيث يمكن للحجاب أن يشـكّل دافعًـا إضافيًّا للفتاة المحجَّبة التي تعمل عـلى إثبات حضورها القويّ في مجتمعها.

● **خامسًا: دور وسائل الإعلام:**

يكمـن دور وسـائل الإعـلام الإسـلاميّة في مجموعة مـن الإجراءات والسياسـات، على رأسـها الاهتمام بصورة الإعلاميّة المحجَّبة التي تظهر على شاشـات تلك الوسائل، من حيث التزامها بالضوابط الشرعيّة للّباس، واجتناب الزّينة المُحرّمة.

وأن يتصدّر قائمة أولوياتها: بثّ الفيديوهات القصيرة، أو المنشـورات، أو البانوهـات ولوحات الإعلان، أو الجداريّات التي تنشر ثقافة الحجاب وتعمل على إيضاح قيمته المعنويّة التي من شأنها تكريم المرأة وحمايتها، فضلاً عن تعظيم الاقتداء بنساء آل البيت الأطهار والصحابيات الجليلات من خلال الالتزام بالحجاب الشرعيّ.

● **سادسًا: دور الحكومات الإسلاميّة:**

ينبغـي عـلى الحكومات الإسـلاميّة أن تعطي أهمية خاصّـة لنشر ثقافة السَّـتْر والحجاب، وسـنّ القوانين التي تمنع مظاهر السفور والخلاعة في المجتمع، ممّا يوفّر شـعورًا للمرأة المحجَّبة بأنّها تعيش في مجتمع مشابه لها وتنتمي إليه.

كـما ينبغي عـلى الحكومات الإسـلاميّة تأمـين البيئة الحاضنـة للمرأة المحجَّبة لتعيـش حياتها بأريحيّة، وتمارس أنشـطتها المشروعة في مناخ مفعـم بالأنس والطمأنينـة، كأن تعمل الإدارات الحكوميّـة الخاصّة على إنشاء فعاليّات ثقافيّة للفتيات المحجّبات، كالأندية الرياضية، والمسابح، والفرق الموسيقيّة الخاصّة بالفتيات ليمارسن هواياتهنّ.

وفي حـال تقصـير الحكومات الإسـلاميّة عـن القيام بدورهـا في هذا المجال، ينبغي على المؤسسات الأهليّة والدينيّة ملء هذا الفراغ بالإمساك بزمام المبادرة، كتلك التي شرعت بها المؤسّسات التابعة للعتبات المقدّسة في العراق، حيـث أقامت حفلات التخرّج الخاصّـة بالمحجّبات، بهدف إعطائهنّ فرصة الاحتفال بنجاحهنّ ضمن الضوابط الشرعيّة، بعد أن لوحِظَ انتشـار المظاهر المنافية للعفّة في حفلات التخـرّج في بعض الجامعات العراقيّة. تلك المبـادرات والفعَّاليات تمنح الفتاة المحجَّبة فرصة الوجود في أجواءٍ تحـاكي تطلّعاتها والتزامها بالضوابط معًا، كما تشـعرها بالتميّز وبأنّ الحجاب لا يعيق طموحاتها العلميّة أو مواهبها.

لائحة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

1. ابــن أبي الحديد، عبد الحميد بن هبة الله، شرح نهج البلاغة، تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربيّة، ط2، 1967م.

2. ابن شــعبة الحراني، الحســن بن علي، تحف العقول عن آل الرسول، تصحيــح وتعليــق علي أكبر الغفــاري، مؤسّســة النشر الإســلاميّ التابعة لجماعة المدرّسين بقم المشرفة، ط2، 1404هـ.

3. ابــن منظــور، محمّد بن مكرم، مختصر تاريخ دمشــق لابن عســاكر، المحقّق روحيّة النحــاس ورياض مراد ومحمّد مطيع، دار الفكر للطباعة، دمشق، ط1ـ 1402هـ.

4. أبو داود السجســتاني، ســليمان بن الأشــعث، تحقيق ســعيد محمد اللحام، دار الفكر، ط1، 1990م.

5. البرقيّ، أحمد، المحاســن، مجمع جهاني اهل بيت عليهم الســلام، إيران، ط3، 1370 هـ.

6. البروجردي، حســين، جامع أحاديث الشــيعة، المطبعة العلمية، قم، 1399هـ.

7. الحرّ العامليّ، محمّد بن الحسن، تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مســائل الشريعة، تحقيق مؤسّســة آل البيت لإحياء الــتراث، قم المشرفة، 1414هـ.

8. الحميري، عبد الله بن جعفر، قرب الإسناد، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، قم المقدسة، ط1، 1413هـ.

9. الريشهري، محمد، ميزان الحكمة، دار الحديث، قم، ط1، 1375هـ.

10. زكي، عماد، الطِّفل العربيّ والمستقبل، دار المعرفة، الكويت، 1989م.

11. الشريف الرضي، محمّد بن الحسين، نهج البلاغة، شرح الشيخ محمّد عبده، دار المعرفة، بيروت.

12. الشهيد الثاني، زين الدين بن علي، مسالك الأفهام إلى تنقيح شرائع الإسلام، تحقيق ونشر مؤسّسة المعارف الإسلاميّة، ط1، 1413هـ.

13. الصدوق، ابن بابويه، محمّد بن عليّ، من لا يحضره الفقيه، الناشر مؤسّسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرّسين بقمّ، قم، إيران، ط 2، 1413ق.

14. الصدوق، محمّد بن علي، ثواب الأعمال، منشورات الرضي، قم المقدسة، ط2، 1404هـ.

15. الصدوق، محمّد بن عليّ، علل الشرائع، مكتبة الداوري، قم، بالأوفست عن طبعة المكتبة الحيدريّة في النجف سنة 1386هـ.

16. الصدوق، محمّد بن علي، الخصال، منشورات جماعة المدرّسين في الحوزة العلميّة، قم، 1403هـ.

17. الطباطبائي، محمّد حسين، الميزان في تفسير القرآن، مؤسّسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرّسين بقم المشرفة.

18. الطبرسي، الحسن بن الفضل، مكارم الأخلاق، ط6، 1972م.

19. الطوسيّ، محمّد بن الحسن، تهذيب الأحكام، دار الكتب الإسلاميّة، طهران، ط4، 1365هـ. ش.

20. الفراهيدي، الخليل بن أحمد، كتاب العين، تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار الهجرة، إيران، 1409هـ.

21. الفيض الكاشاني، محمد بن شاه مرتضى، علم اليقين، تصحيح محسن بيدارفر، انتشارات بيدار، قم، ط١، ١٤١٢هـ.

22. الكلينيّ، محمّد بن يعقوب، الكافي، تعليق وتصحيح علي أكبر الغفاري، دار الكتب الإسلاميّة، طهران، ط3، 1388هـ.

23. المجلسي، محمّد باقر بن محمّد تقي، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمّة الأطهار، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، ط 2، 1403ق.

24. المجلسيّ، محمّد تقي، روضة المتّقين في شرح من لا يحضره الفقيه، بنياد فرهنك إسلامي حاج محمّد حسين كوشانيور، إيران، 1364 هـ.

25. الميرزا النوري، حسن الطبرسي، مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل، تحقيق مؤسّسة آل البيت لإحياء التراث، بيروت، ط1، 1408هـ.

26. النراقيّ، أحمد بن محمّد مهدي، مستند الشيعة، مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لاحياء التراث، مشهد، 1415هـ.

27. النراقي، محمد مهدي، جامع السعادات، تحقيق السيد محمد كلانتر، مطبعة النعمان، النجف الأشرف.

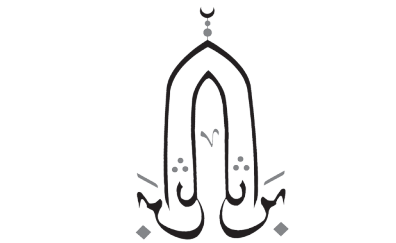

هو مركز بحثي مستقل غير ربحي، مركزه في بيروت وبغداد. ويهدف لفتح المجالات العلمية والاكاديمية الواسعة، أمام الباحثين والمتخصصين؛ للقيام ببحوث تسعى إلى فهم واقع الإنسان والإنسانية، من خلال التركيز على دراسة الميادين الفلسفية، والاجتماعية، والإنسانية المتنوعة، التي تشكّل في مجموعها ذلك الحراك الاجتماعي والانساني الكبير، الحاصل في العالم، وخصوصا في بلادنا العربية والإسلامية؛ ورصد الظواهر والتحديات الفكرية، والاجتماعية، والاقتصادية، والنفسية المختلفة، التي يمكن أن يواجهها الفرد والمجتمع، ومحاولة فهم ومدارسة الأسس الفلسفية والإجتماعية والدينية التأصيلية بموضوعية وجدة، سعيًا للوصول إلى حلول لها؛ من أجل السمو بالإنسان وتقدّمه في أبعاده الإنسانية المختلفة.

العفّةُ والحياءُ والغيرةُ ترتبطُ فيما بينها بنحوٍ وثيقٍ لبناء مجتمع طيّب وطاهر يساهم في مشروع الخلافة الإلهيّة، والتمهيد لدولة صاحب الزّمان (عج)، فلا يكونُ همُّ أفرادِ المجتمعِ إشباعَ غرائزهم ولذائذهم الماديّة ومتعتهم الجسديّة، تحت شعارات الحريّة والتقدّم والانفتاح، تأثّرًا بالثقافة الغربيّة والعلمانيّة التي تتجاوز العفّة، فتهين المرأة وكرامتها التي منحها اللّه تعالى إيّاها، فأصبحَ السفورُ والتبرّجُ شائعًا، والملابسُ الضيّقةُ منتشرةً، والاختلاطُ غيرُ المنضبطِ أمرًا رائجًا، والمثليّةُ الجنسيّةُ حريّةً شخصيّةً، وقلّةُ غيرةِ الرجالِ على نسائهم انفتاحًا، وقلةُ الحياءِ عند النساءِ جرأةً وشجاعةً، والسّترُ والحجابُ تخلّفًا ورجعيّةً، والالتزامُ بضوابطِ الشريعةِ بغضّ البصرِ واجتنابِ المصافحةِ للأجنبيّ عقدةً نفسيّةً. في هذا الكتيّب سلّطنا الضّوءَ على مفهومِ العفّة والعفاف، وبيّنّا أهميّتهما في ضوءِ منطقِ القرآنِ ومدرسةِ أهلِ البيتِ وعلماءِ الأخلاقِ المسلمينَ، وعرّجنا على بيانِ دوافعِ الحربِ الغربيّةِ وبعضِ الحكوماتِ والأنظمةِ على الحجابِ والعفّةِ والحياءِ، وذكرنا بعضَ النماذجِ على ذلك، وتوقّفنا عند كيفيّةِ تأثّرِ مجتمعاتنا بهذهِ الحربِ الثقافيّةِ والحضاريّةِ، وشرْحنا كيفيّةَ مواجهةِ هذهِ الأدواتِ والوسائلِ، بهدفِ تثقيفِ جيلِ الشبابِ على ضرورةِ العفّةِ، وتنميةِ الوعيِ بأساليبِ المواجهةِ، ليساهمَ كلٌّ منّا في بناءِ المجتمعِ العفيفِ والطاهرِ والطيّبِ.

• الدراسة لا تعبر بالضرورة عن رأي المركز •

مركز براثا للدراسات والبحوث
بيروت - بغداد
Baratha Center for Studies and Research
www.barathacenter.com
barathacenter@gmail.com
مدير المركز د. محمد مرتضى
009613821638